

روايات مصرية للجيب

قضية حرب المخابرات

سلسلة الغاز بولسية مشيرة للناسين



٢٥



Looloo

www.dvd4arab.com

١ - الرسالة ..

هطلت الأمطار طويلاً في تلك الليلة ، من ليالى الأسبوع
الأوّل من فبراير ، وبدت (القاهرة) في منتصف الليل —
حينما انتهى (عصام) من عمله في الجريدة ، واستقلّ سيارته
الصغيرة ، في طريق العودة إلى منزله — بدت أشبه بمدينة
مهجورة .. فالشوارع خالية من المارّة تماماً ، والنوافذ مغلقة
مظلمة ، في كلّ البنايات المطلة على الطريق ، والسكّون يخيّم
على المكان ، إلّا من صوت قطرات المطر المتساقطة في
غزارة ..

وخفض (عصام) سرعة سيّارته ، وهو يعبر الشوارع
الخالية ، خشية أن تنزلق إطاراتها ، ويفقد سيطرته عليها ،
وسط المياه التي أغرقت الشوارع ، وتعمّ في سخرية ، وهو
يضع أحد الأشرطة الموسيقية في جهاز التسجيل والاستعادة في
سيّارته :

— يا لها من ليلة !!.. كان ينبغي أن أطلب بديل طبيعة
عمل خاص ، ماداموا يصيرون على عودتي إلى منزلي ، في هذا
الوقت المتأخّر .



انبعث صوت الموسيقى الهادئة داخل السيارة ، فسرى
الارتياح في عجلاته ، وراح يدندن نفس اللحن بشفتيه ،
ويلحق دندنته بصغير منغوم ، يتناسق مع اللحن الموسيقي ،
ويبعث في عروقه الدفء والارتياح ..

وفجأة .. توقفت مساحة الزجاج الأمامي للسيارة ،
وبدأت قطرات المطر تغمر الزجاج ، وتنزل فوقه ، صاعدة
خيوطاً من الانعكاسات الضوئية ، جعلت (عصام) يتوقف
عن الصغير ، ويعقد حاجبيه ، وهو يغمغم في حلق :

— لقد أسأت اختيار موعد التوقف ياسياري العزيزة .
دفع وجهه إلى الأمام ، حتى كاد أنفه يلامس الزجاج
الأمامي للسيارة ، وهو يحاول مواصلة السير بها ، معتمداً على
ما تلتقطه عيناه ، وسط خيوط المياه المتراقصة على الزجاج ،
إلا أنه لم يلبث أن أقن من استحالة ذلك ، فأوقف سيارته على
جانب الطريق ، وهو يغمغم في سخط :

— يبدو أنني سأفكر جدياً في طلب بدل طبيعة العمل
هذا .

ثم تنهد في ضيق ، وغادر السيارة ، ووقف تحت المطر ،
يحاول معالجة مساحة الزجاج دون جدوى ، حتى هتف في
عصية :

— لن يمكنني أن أقضي الليل هنا ، أيتها السيارة اللعينة ...
أليس كذلك ؟

وتلفت حوله ، وهو يستطرد في حدة :

— ومن الواضح أنني لن أجد أحق واحداً ، يخاطر
بالخروج في مثل هذه الظروف .. سوى بالطبع .

لم يكذب عبارته ، حتى توقف بصره عند مشهد
أدهشه ..

مشهد رجل اندفع فجأة من طريق جانبي ، وراح يغدو
نحوه بأقدام متخططة ، وهو يبدو في غدوه أقرب إلى الترنح ،
منه إلى القوة ..

وكان من الواضح أن الرجل يتجه إليه ..

إليه بالذات ..

وقبل أن يتخلى (عصام) عن دهشته ، أو يفارقه توثره ،
هتف به الرجل بالإنجليزية ، وهو يلوح بيده في إنهاك واضح :

— سيدي .. هل يمكنك أن ... ؟ .. أن ... ؟

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يهتف في جزع :

— ماذا .. ماذا هناك ؟ .. ماذا بك ؟

ثم لم يلبث أن تنبه إلى أنه يسأل الرجل بالعربية ، فعاد يهتف
بالإنجليزية :

— ماذا يحدث ؟ .. هل .. ؟

توقف السؤال في حلقه ، وبلغ اتساع عينيه ذروته ، حينما
انتبه — لأول مرة — إلى بقعة الدماء الكبيرة ، التي تلوث
معطف الرجل ، في موضع الصدر ، والتي يتوسطها ثقب
محترق الأطراف ، فتراجع وهو يهتف في دُعر :
— يا إلهي !!! يا إلهي !!

تشبّث به الرجل ، وبدت ملامحه الأجنبية واضحة ، وهو
يحدّق في وجهه بعينه الزرقاوين ، هاتفا في ألم وتوتر :
— إنهم يلاحقونني .. ينبغي أن تبعد قبل أن .. أن ..
كان من الواضح أن آلام الرجل المبرّحة ، وإصابته الخيفة
يمنعانه من التركيز ، ومواصلة الحديث ، وأن دُعر (عصام)
قد بلغ مبلغا لم ينتبه من قبل ، وهو يهتف في صوت مُحْتَقِق ،
وبالعربية :

— مَنْ هؤلاء ؟ .. ماذا يحدث بالله عليك ؟

ازداد الرجل تشبّثا به ، وبدا متهاككا ، شاحبا ، حتى أنه
صار من العسير تمييز لون شعره الأشقر ، من لون بشرته ،

وهو يلتقط من جيب معطفه منظروفا صغيرا ، ويناوله
ل (عصام) ، قائلا في لهفة :

— خذ هذا .. احتفظ به جيّدا ، ولا تدعهم يحصلون
عليه ، أيّا كان الثمن .

هتف (عصام) بالإنجليزية مرتبكة متلعثمة :

— وماذا أفعل به ؟

أجابه الرجل في انفعال ، وهو يقاوم آلامه في بسالة :
— حذار أن يدرك أحدهم أنك تحتفظ به .. اذهب به

إلى .. إلى ..

وفجأة .. ودون أن يتردّد في المكان أى صوت إضافي ،
جمحت عينا الرجل في ذهول وألم ، واندفع رأسه ؛ ليرطم
بصدر (عصام) ، وتراخى أطرافه تماما ، فهتف
(عصام) ، وهو يحاول أن يدفع رأس الرجل عن صدره :
— إلى أين أذهب به ؟ .. إلى أي .. ؟

احتبست الكلمات في حلقه ، واتسعت عيناه في رُعب

هائل ، حينما تحسّست أصابعه سائلا لرجا ، يسيل من مؤخرة
رأس الرجل ، ويمتزج بمياه المطر ، التي تبلّل شعره ..

وقبل أن يرفع (عصام) كَفَّهُ ، ويحدِّق في السائل ، الذى
لوَّث أصابعه ، كان قد أدرك طبيعته ..
كان قد أدرك أنه سائل الحياة ..
الدم ..

وفى صوت مُخْتَبِق ، مرتبك ، مذعور ، هتف
(عصام) :

— يا إلهى !! ..

وفجأة .. تَحْطُم زجاج سيَّارته فى صوت مسموع .. ورفع
هو عينيه إلى مدخل الشارع الجانبى ، الذى برز منه الرجل ،
فى رُغْب ، وبلغ هذا الرُغْب أَوْجَه ، حينما انطبعت فى عيني
(عصام) صورة مُفْرِعة ..

صورة رجلين ضخمى الجثة ، يرتديان معطفين من معاطف
المطر ، ويمسك كل منهما مسدسًا ضخمًا ..

وكانت قُوَّة المسدسين مصوَّبة إلى هدف واحد ..

إلى رأس (عصام) ..

٢ — اهرب .. من أجل حياتك ..

لم يكن الأمر يحتاج الى الكثير من الذكاء ؛ ليدرك
(عصام) خطورة الموقف ..

نظرة واحدة إلى كَاتِمَى الصوت ، اللذين يزيَّنان فُوْهَتَيِ
المسدسين ، جعلته يفهم كل شئ ..

أو بمعنى أدق ، يفهم كيف قُتِلَ الأجنبى ، الذى كان
يستجد به ..

ولم يكن هناك ما يكفى من الوقت ، للتساؤل عن سبب
مقتله ، أو سرِّ الرِّسالة التى تركها له ..

كان الوقت يكفى للهرب فقط ..

الهرب من أجل الحياة ..

ولم يتردَّد (عصام) لحظة واحدة ..

كان يعلم أن إدارته تحرك سيارته سيصبح أكثر صعوبة ،
من استبطاط نظريَّة جديدة فى علوم الدَّرة ، وهو يعانى كل

ذلك التوتُّر ، وتلك العصبيَّة ، إلى جانب رُغْب هائل عنيف ؛
لذا فقد دفع (عصام) جثَّة الأجنبى بعيدًا ، وانطلق يعدو

بكل ما يملك من سُرعة ..

بلا لُحْطَة ..

بلا هدف ..

كل مدار في ذهنه هو هتاف واحد ..

اهرب يا (عصام) ..

اهرب من أجل حياتك ..

وتحوّلت قدماه إلى آلة للعدو ، وتحوّل قلبه إلى مضخة ؛

لتغذية هذه الآلة في قوّة وعنف ..

وإلى جوار أذنه مرّقت رصاصة صامتة ..

وفوق خصلات شعره غير المنتظمة مرّقت أخرى ..

وواصل هو عدّوه ..

لم يلتفت خلفه ؛ ليعلم إلى أى مدى وصل مطارذوه ..

ولكنه سمع أصوات أقدامهم خلفه تقترب .. وتقترب ..

وتقترب ..

وانحرف (عصام) فجأة في طريق جانبي ، وارتطمت

رصاصة أخرى بحافة المنزل المجاور له ، ونثرت بعض الرّذاذ

والحطام على وجهه ، فشقق في دُعر ، وانحنى ؛ ليعبر مدخل

أول بناية صادفته ، وراح يقفز درجات سلّمها في دُعر

وسرعة ، وسمع صوت الأقدام يعبر مدخل البناية ، ويواصل

مطارذته ، فزاد من سرعة عدّوه ، بعد أن كان يتصوّر أنها قد

بلغت أقصاها ..

وفجأة .. وجد نفسه فوق سطح البناية ، فاندفع إليه ، ثم

لم يلبث أن عاد أدراجيه ، وأغلق الباب المؤدّي إلى السطح في

إحكام ، ثم راح يتطلّع حوله في دُعر ، باحثا عن وسيلة

للفرار ، ولكنه وجد نفسه وكأنّه فأر دخل إلى المصيدة

بقدميه ..

كانت أسطح البنايات المجاورة بعيدة ، لا يمكنه أن يقفز

إليها ، مهما بلغت مرونته أو قوته ، والسطح الذي يقف فوقه

خالٍ من أى بروز ، يمكنه أن يختفى خلفه ، ومطارذوه يدفعون

بابه في قوّة وغنف وإصرار ، وهو وحده حائر ، ملتاغ ..

ثم ارتفع دوى مكتوم ، ومرقت ثلاث رصاصات عبّير

الباب الخشبي ، حول مزلاجيه ، وبات من الواضح أن

مطارديه يصرون على التّيل منه ، مهما كان الثمن ، فاندفع نحو

حاجز السطح ، باحثا عن مخرج ، ولم يجد أمامه سوى ماسورة

ضخمة ، من مواسير الصّرف الصّحّي ، فصعد فوق حاجز



كل ما فعله (عصام) هذه المرة هو أن صرخ ، ودفع جسده جانباً ،
وسمع صوت الرصاصة ، وهي ترتطم بجدار الماسورة ..

السطح ، وتشبّث بها ، وأخذ ينزلق عليها هابطاً ، وهو يشعر
برُعب هائل ، مخافة أن تفلت يده ، فيهوى من ارتفاع خمسة
طوابق ، في حين بلغ مسامعه صوت باب السطح وهو
يتحطّم ، وصوت أقدام تعدو داخله ، لم تلبث أن توقفت
لحظة ، وكأنما دهش أصحابها لعدم وجوده هناك ، قبل أن
تندفع الأقدام نحو النقطة التي هبط منها ..

وانتفض جسد (عصام) في شدة ، وكادت قبضته تفلتان
من على الماسورة ، التي يتشبّث بها ، حيناً سمع — من فوق
رأسه — هتافاً بلغة لم يفهم حتى مصدرها ، وإن أدرك على
الفور أن الهتاف يعنى رؤية صاحبه له ..

وفي حركة حادة متوترة ، رفع (عصام) عينيه إلى أعلى ،
وهبط قلبه بين قدميه ، فقد رأى هناك ، على حافة الحاجز ،
وجهًا صارمًا قاسيًا يتطلّع إليه ، وفؤوه مسدّس مزوّد بكاتم
للصوت مصوّبة إلى رأسه تمامًا ..

كل ما فعله (عصام) هذه المرة هو أن صرخ ، ودفع
جسده جانباً ، وسمع صوت الرصاصة ، وهي ترتطم بجدار

كان المطر قد توقَّفَ تقرُّبًا ، ما عدا رذاذًا خفيفًا ، حينما توقَّفت سيارة العقيد (خيرى) ، فى الواحدة والنصف صباحًا ، أمام تلك البناية ، إلى جوار سيارة شرطة خالية ، إلا من سائقها ، الذى كان يجلس داخلها خاملاً ، والذى هبَّ من فوره ، حينما لمح العقيد (خيرى) ، ورفع يده بالتحية العسكرية فى احترام ، وهو يقول :

— سيادة الرائد (سمير) ، ينتظر سيادتك فى الطابق الخامس ياسيدى .

أجاب العقيد (خيرى) تحيته العسكرية فى هدوء ، ودون أن ينبس ببنت شفة ، وراح يصعد الطوابق الخمسة فى سرعة ورشاقة ، حتى بلغ شقة مضاعة فى الطابق الخامس ، اجتمع أمامها معظم سكَّان البناية ، الذين تطلَّعوا إليه فى توتُّر ، وهو يعبرُ باب الشقة ، حيث استقبله الرائد (سمير) ، وأدَّى التحية العسكرية ، وهو يقول :

— صباح الخير ياسيادة العقيد .. معذرةً ؛ لإيقاظك فى مثل هذا الوقت ، ولكننا ألقينا القبض هنا على لص منازل ،

الماسورة ، وتُغوص فيها ، وسرت فى جسده فُشْعْريرة ، وهو يتخيَّل هجمته فى موضع الماسورة المسكينة ، ثم شعر — مع اندفاعه جانبًا — بظهره يرتطم بحاجز زجاجى ، ويهشمه ، ثم وجد نفسه يواصل اندفاعه ، ويدها تتخلَّيان عن الماسورة ، على الرغم منه ، وشعر بآلام مبرِّحة فى ظهره ، وكأنما كانت هناك عشرات الخناجر تمزِّقه ، وهوى جسده .. لم يهو من ارتفاع خمسة طوابق ، كما كان يتوقَّع ، وإنما من ارتفاع متر ونصف فحسب ..

هوى داخل حَمَّام منزل أنيق ، وارطم بأرضيته الباردة فى دوى هائل ، ومضت لحظة ، وهو مستلق على ظهره ، يحدِّق فى نافذة الحَمَّام فى ذهول ، حتى بلغ مسامعه صوت أقدام تركض مقتربة منه ، فنهض فى سرعة ، وتعلَّق بصره بباب الحَمَّام ، الذى انفتح فى عنف ، وامتدت منه يد أضاعت مصباحه ، الذى غمر عيني (عصام) بالضوء ، فأغلقهما لحظة ، ثم عاد يفتحهما فى بطء ؛ لتواجهه فوهة مسدَّس صغير ، ويصك مسامعه صوت صارم يقول :

— لا تتحرَّك ، وإلا أطلقت النار .
وفى هذه المرَّة ، استسلم (عصام) ..

أصرُّ على طلب حضورك ، مدعيًا — معذرة — أنه تربطه
بسيادتك صلة صداقة .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى هدوء :

— ولو أنه الشخص الذى أتوقَّعه ، فسيكون ادعاؤه
صحيحًا بعض الشيء .

ففر الرائد (سمير) فمه فى دهشة ، وهو يهتف :

— ماذا ؟!

اتسعت ابتسامة العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

— لا تتعجَّل الدهشة أيها الرائد ، فأنا لم أره بعد .

اندفع رجل وقُور ، فى أوائل الخمسينات من عمره ،

يهتف فى انفعال :

— مستحيل ياسيادة العقيد .. إنه لصُّ وضع ، لقد

اقتحم حَمَّام المنزل فى وقاحة شديدة ، وأصابنى وزوجتى بهلع

رهيب .. ومَن يدرى ماذا كان يمكن أن يفعله بنا ، لو لم أسرع

بضبطه ، وتهديده بمسدسى ، حتى أبلغت زوجتى المتلوعة

الشرطة ؟

رَبَّت العقيد (خيرى) على كفه مهدئًا ، وهو يقول :

— بلا شك .. بلا شك .. أين هو ؟

أشار الرائد (سمير) إلى حجرة جانبية ، وهو يقول :

— لقد أثبتَّ الواقعة ، وحجزته تحت حراسة رجلين ،

فى حجرة الجلوس ياسيدى .

اتجه العقيد (خيرى) نحو حجرة الجلوس فى هدوء ،

وهو يقول :

— حسنًا .. دُعنا نلقى نظرة عليه .

وفى بساطة .. دفع باب حجرة الجلوس ، وارتسمت

على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو يتطلَّع إلى (عصام) ،

قائلًا :

— كيف حالك يا (عصام) ؟.. لقد كنت أتوقَّع ذلك .

هَبَّ (عصام) من مقعده ، وهو يهتف فى انفعال :

— كيف حالى ؟!.. ياله من سؤال !.. إننى كما ترى ،

متَّهم بالسطو على منزل آمن ، وأجلس — كاللصوص —

تحت حراسة شرطيين .

نقل الرائد (سمير) عينيه فى دهشة وحيرة ، بين

(عصام) والعقيد (خيرى) ، ثم سأل الأخير فى توتر :

— هل .. هل تعرفه حقًا ياسيدى ؟

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، وقال فى هدوء ،

يحمل رتَّة امرأة :

— نعم أيها الرائد .. لُحِذْ شَرِطِيَّكَ خَارِجًا ، وَاتْرَكْنِي مَعَهُ وَحَدْنَا بَعْضَ الْوَقْتِ .

عاد الرائد (سمير) يَنْقُلُ بَصْرَهُ بَيْنَهُمَا فِي خَيْرَةٍ ، ثُمَّ أَجَابَ فِي خَفَوَاتِ :

— كَمَا تَأْمُرُ بِإِسَادَةِ الْعَقِيدِ .

وَأَشَارَ إِلَى الشَّرْطِيَّيْنِ ، فَخَفَضَا فَوْهَتَيَّ مَدْفَعَتَيْهِمَا ، الْمَصُوبَيْنِ إِلَى (عَصَام) وَتَبَعَاهُ إِلَى الْخَارِجِ فِي اسْتِسْلَامِ ، وَانْتَظَرَ الْعَقِيدَ (خَيْرِي) حَتَّى أَغْلَقَا الْبَابَ خَلْفَهُمَا ، ثُمَّ شَبَّكَ أَصَابِعَ كَفَيْهِ أَمَامَ وَجْهِهِ ، وَقَالَ لـ (عَصَام) فِي هَدْوٍ :

— اجْلِسْ ، وَأَخْبِرْنِي آيَةَ حِمَاةٍ جَدِيدَةٍ ، أَوْقَعْتَ بِكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَازِقِ .

جَلَسَ (عَصَام) ، وَهُوَ يَقُولُ فِي تَوَثُّرٍ :

— لَيْتَهَا كَانَتْ حِمَاةَ هَذِهِ الْمَرَّةِ .

غَمَغَمَ الْعَقِيدَ (خَيْرِي) فِي هَدْوٍ :

— حَسَنًا .. كُلِّي آذَانَ صَاغِيَةٍ .

تَنَهَّدَ (عَصَام) فِي عَمَقٍ ، ثُمَّ انْدَفَعَ يَرُوِي لَهُ مَا حَدَّثَ .. وَلَكِنَّهُ ، وَدُونَ أَنْ يَدْرِكَ السَّبَبَ ، تَعَمَّدَ إِخْفَاءَ أَمْرِ الرُّسَالَةِ ، الَّتِي سَلَّمَهَا إِلَيْهَا الْأَجْنِبِيُّ قَبْلَ مَصْرَعِهِ ، وَاكْتَفَى

بِذِكْرِ مَقْتَلِهِ الْمَفَاجِئِ ، وَمُطَارَدَةِ الرَّجُلَيْنِ لَهُ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى اقْتِحَامِهِ الْاضْطِرَارِيِّ لِلْمَنْزِلِ ، وَإِلْقَاءِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَاسْتَمَعَ إِلَيْهِ الْعَقِيدَ (خَيْرِي) فِي هَدْوٍ ، وَدُونَ أَنْ يَقَاطِعَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ لَبِثَ صَامِتًا بَعْضَ الْوَقْتِ ، وَقَدْ رَوَى مَا بَيْنَ حَاجِيهِ مَفْكَرًا ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ فِي هَدْوٍ :

— إِنَّهَا قِصَّةٌ عَجَبِيَّةٌ بِالْفِعْلِ يَا (عَصَام) ، وَلَوْ أَنْبَأَنِي بِهَا شَخْصٌ غَيْرُكَ ، مَا صَدَّقْتُ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنْهَا ، وَلَكِنِّي أَمِيلُ إِلَى تَصْدِيقِكَ ، فَأَنَا أَدْرِكُ جَيِّدًا جُودَةَ مَعْدَنِكَ .

هَتَفَ (عَصَام) فِي انْفِعَالٍ :

— هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ دَلِيلٍ يُؤَكِّدُ صِدْقَ رَوَايَتِي هَذِهِ الْمَرَّةِ .

أَوْمَأَ الْعَقِيدَ (خَيْرِي) بِرَأْسِهِ مُوَافِقًا ، وَقَالَ فِي هَدْوٍ :

— بَلَّاشُكَ .. فَبَابِ السُّطْحِ الْمُخْطَمِ ، وَأَثَرِ الرِّصَاصَةِ فِي الْمَاسُورَةِ ، وَزَجَاجِ سَيَارَتِكَ الْمَهْشَمِ ، كُلُّ هَذِهِ أَشْيَاءُ يُمَكِّنُ التَّائَكُّدَ مِنْهَا فِي بَسَاطَةٍ .

هَتَفَ (عَصَام) :

— وَجِئْتُ الْأَجْنِبِيَّ الْقَتِيلَ ؟

مَطَأَ الْعَقِيدَ (خَيْرِي) شَفَتَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

— لَا أَظُنُّ أَنَّنَا سَنَجِدُهَا حَيْثُ تَرَكْنَاهَا .

ارتفع حاجبا (عصام) ، وهو يغمغم في توثر :

— هل تظن أنهم .. ؟

لم يكمل سؤاله ، ولكن العقيد (خيرى) أجابه فى

هدوء :

— ماداموا قد حاولوا قتلك بكل هذا الإصرار ، فهذا

يعنى أنهم يريدون إخفاء الأمر بالطبع .

ثم عاد يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يستطرد فى

اهتمام :

— ولكن هذا لا ينفى أنك متورط بالفعل فى حادث

سطو .

زفر (عصام) فى توثر ، وهو يقول :

— أعلم ذلك .

ثم استطرد فى رجاء :

— ألا يمكن تسوية الأمر ؟

مطّ العقيد (خيرى) شفته مرة أخرى ، وهزّ رأسه بمنّة

وبسرة ، وهو يقول :

— قانونا مستحيل .. فلقد اقتحمت الشقة بالفعل ،

وصاحبها يصّر على اتهامك .

هتف (عصام) فى توثر :

— ربما لو شرحنا له الأمر ..

قاطعته العقيد (خيرى) ، وهو يتسم قائلا :

— وهل تظن أن أحدا غيرى سيصدق قصتك ؟

تنهّد ، وهو يقول فى إحباط :

— هناك الأدلة ، التى ذكرتها لك .

هزّ العقيد (خيرى) ، رأسه نفيا ، وقال :

— كلها يمكنها أن تنقلب ضدك ، فيقال إن باب السطح

كان مغلقا ، وإنك أنت حطمته لتدلف إلى السطح ، وتنزلق

على الماسورة ، هابطا إلى هذه الشقة ، وإن الرصاصة التى

أصابت الماسورة قد انطلقت من مسدسك أنت ، قبل أن

تفتح الشقة ، وربما ذهب وكيل النيابة إلى القول بأن

مسدسك قد سقط ، حينما كنت تحطم الزجاج ، وفقد و

قاطعته (عصام) فى مرارة :

— إذن فلا توجد وسيلة .

هزّ العقيد (خيرى) رأسه نفيا ، ثم ضاقت حدقاته ، وهو

يغمغم فى اهتمام :

— ربُّما لو

هتف (عصام) ، وقد انتعش الأمل في صدره :

— لو ماذا ؟

نهض العقيد (خيرى) ، وهو يتسم ، قائلاً :

— هناك محاولة أخيرة ، قد تُجْدِي ، حينما يعجز القانون .

وفتح باب الحجرة ، وأشار إلى صاحب المنزل الوقور

وزوجته ، وهو يقول في هدوء :

— هل تسمحان بالانضمام إلينا ؟

تورَّد الرجل وزوجته لحظة ، ثم اتجها إلى حجرة الجلوس ،

وتعلَّق بصراهما بـ (عصام) في توثر ، على حين أغلق العقيد

(خيرى) الباب ، والتفت إليهما قائلاً :

— هل تصدَّقانى ، لو أخبرتكما أن هذا الشاب ليس

لصاً ؟

هتفت الزوجة في عناد :

— كلاً .

في حين غمغم الزوج في توثر ، وهو يرمق (عصام)

بنظرة حَذرة :

— كيف ..؟ لقد اقتحم منزلى بعد منتصف الليل و

قاطعه العقيد (خيرى) ، وهو يشير إلى (عصام) ،

قائلاً :

— هل تعرفان هذا الشاب ؟

هزَّ الزوج رأسه نفياً ، في حين غمغمت الزوجة في حِدَّة :

— لم تسبق لنا رؤيته .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

— ولكن ربُّما قرأتما بعض تحقيقاته ، فهو صحفى شهير ،

في عالم التحقيقات البوليسية ، ويُدعى (عصام) .

حدَّق الزوجان في وجه (عصام) في ذهول ، وهتفا في

آن واحد :

— (عصام كامل)؟!

اتسعت ابتسامة العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

— بشحمه ولحمه .. لقد كان بصدد إعداد تحقيق

جديد ، يطارد خلاله مجرمًا بالغ الخطورة ، حينما حدث خطأ

غير مقصود و

لم يتمَّ عبارته ، فقد هتفت الزوجة في صوت مبتهج ، أثار

دهشة (عصام) :

— غير معقول !!

ثم اندفعت نحو (عصام) فجأة ، تصافحه في حرارة
أذهلته ، وقد تألفت على وجهها ابتسامة فرحة ، وهي تهتف
في حرارة :

— أستاذ (عصام) ، إنني أتابع تحقيقاتك في شغف ،
وأحتفظ بها كلها ، ولقد تمثيت دوماً أن ألتقي بك .
غمغم (عصام) في دهشة :

— كنت أفضل لو أننا التقينا في ظروف مختلفة و....
هتفت في حماس :

— على العكس .

حدّق (عصام) في وجهها بدهشة ، في حين أردفت هي
في لهفة :

— إنك ستذكر اقتحامك لشقتنا في تحقيقك القادم ..
أليس كذلك ؟

أجابها في خيرة :

— بالطبع .. وسأتحمل تكاليف إصلاح النافذة و....
قاطعتها وهي تلوح بكفّهما في حماس :



حدّق (عصام) في وجهها بدهشة ، في حين أردفت هي في لهفة :
— إنك ستذكر اقتحامك لشقتنا في تحقيقك القادم ..

٤ — المفاجأة ..

زفر (عصام) في ارتياح ، وهو يستقل سيارة العقيد (خيرى) ، إلى جوار هذا الأخير ، الذى أدار محرك سيارته ، وهو يتسهم قائلاً :

— هل رأيت كم تفيد الشهرة في بعض الأحيان ؟

تنهّد (عصام) ، وهو يقول :

— لقد كانت فكرة بالغة الذكاء والحدق يا سيادة العقيد .

غمغم العقيد (خيرى) ، وهو ينطلق بسيارته :

— كانت الوسيلة الوحيدة الممكنة ، دون أن نخالف القانون .

ثم استطرد في اهتمام :

— والآن أين تركت سيارتك ؟

أشار (عصام) أمامه ، وهو يقول في إرهاق :

— انحرف يساراً في نهاية ذلك الشارع ، وسرّ حتى بداية الطريق الرئيسى ، وستجدها عند المنعطف هناك .

أوماً العقيد (خيرى) برأسه إيجاباً ، وقال وهو ينحرف بسيارته يساراً :

— هذا لا يهم .. إن ذكر اسمنا في واحد من تحقيقاتك الرائعة يكفى .. إنه سيثير حسد كل رفاق النادى .

والتفت إلى زوجها ، مستطردة في سعادة :

— أليس كذلك يا (وفيق) ؟

عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

— بلى يا عزيزتى .

أغلقت عينيها ، وهى تضمّ كفّيهما أسفل ذقنها ، وتقول في نشوة :

— وستذكر في تحقيقك يا أستاذ (عصام) أننا كنّا نعلم الأمر منذ البداية ، وأنا قد تنازلنا عن اتهامك ؛ لنعاونك على أداء مهمّتك و ..

التقط (عصام) خيط الحديث ، وهو يقول في لهفة :

— بالتأكيد .. وبإضافة صورة أنيقة لك مع زوجك

يا سيّدتى ، سيكتمل التحقيق ويبرز دوركم البطولى فيه .

انتفضحت أوداج الزوج ، وهو يردّد في حماس :

— نعم .. دُورنا البطولى .

ثم استدار خارجاً ، وهو يردّف في نفس الحماس :

— سأتنازل عن الاتهام .. هكذا تكون البطولة .

— إن آثار تحطم الباب ، وثقب الرصاصة في الماسورة واضحة يا (عصام) ، ولكننا لا نعلم بعد لماذا ارتكبت هذه الجريمة ؟

مرة أخرى وجد (عصام) في أعماقه دافعا خفيا ، يمنعه من ذكر أمر الرسالة ، التي سلمه إليها الأجنبي ، فغمغم في هدوء :

— ربّما كشفنا السرّ بعد فحص جثة الأجنبي ، و....
بتر عبارته فجأة ، وهو يحذق أمامه في ذهول ، ويهتف في جزع :

— يا إلهي !!

سأله العقيد (خيرى) في توثر :

— ماذا حدث ؟

هتف (عصام) في ارتياح :

— سيّارتي ... لقد اختفت !

توقّف العقيد (خيرى) حيث أشار (عصام) ، وهبط مع هذا الأخير من سيّارته ، وتطلع كلاهما حوله في دهشة ، قبل أن يغمغم العقيد (خيرى) :

— أنت واثق من أنها كانت هنا ؟

هتف (عصام) في جزع :
— تمام الثقة .

ثم أشار إلى الأرض ، مستطرّدا في توثر :

— انظر ستجد بقايا زجاجها الأمامي المهشّم ، وآثار دماء الأجنبي القتل .

تطلّع العقيد (خيرى) إلى حيث أشار ، وقال :

— هذا صحيح .

ثم عاد يتلفّت حوله ، مستطرّدا :

— لقد اختفت جثة القتل ، وسيّارتك أيضا .

هتف (عصام) في سخط :

— من الطبيعي أن يحاولوا إخفاء جثة القتل ، ولكن

ما شأنهم بسيّارتي ؟

أجابه العقيد (خيرى) في تفكير :

— ربّما استخدموها لنقل الجثة من هنا .

صاح (عصام) في غضب :

— هل ينوون توريطي في جريمة قتل أيضا ؟

هزّ العقيد (خيرى) كتفيه ، وقال :

— يمكنك أن تتلافى ذلك بالإبلاغ عن سرقته على الفور .

هتف (عصام) في حِدَّة :

— سأفعل بالتأكيد ، وأرجو أن أستعيد سيارتي الصغيرة ، بزجاجها المخطَّم ، فاستبدال الزجاج أهون كثيراً من شراء سيارة أخرى بالتأكيد .

لبث العقيد (خيرى) صامتاً ، يفكرُ بعض الوقت ، ثم قال فى هدوء .

— حسناً .. ليس لدينا الآن ما نفعله ، سنبلغ عن سرقة سيارتك ، ثم أوصلك إلى منزلك .

عاد (عصام) يستقل سيارة العقيد (خيرى) إلى جواره ، وقال العقيد (خيرى) فى هدوء ، وهو ينطلق بالسيارة :

— من حسن حظك أننا الآن فى الساعات الأولى من يوم الجمعة ، وسيمكنك أن تلتقى بـ (عماد) و (علا)

التفت إليه (عصام) فى دهشة ، فاستطرد هو بنفس الهدوء :

— مادام هناك لغز ما ، فأنا أعلم أنك ستلتقى بهما إن عاجلاً أو آجلاً ، ولكن قبل أن تفعل ، أحب أن أحصل منك على وعد صريح .

غمغم (عصام) فى خجل :

— وعد بماذا ؟

صمت العقيد (خيرى) لحظات ، ثم أجاب فى صرامة :
— على أن يقتصر دورهما على الإدلاء بالرأى والمشورة فقط ، وألاً يتورطاً فى بحث القضية نفسها ، فالله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، إلى أى مدى يمكن أن تتطور هذه القضية ، ما دام القتل والقنلة فيها من الأجانب .

أوماً (عصام) برأسه إيجاباً ، وقال فى خفوت :

— أعدك ياسيادة العقيد .. أعدك بأن أتحمل وحدى كل عواقب هذه القضية بالذات ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة والنصف صباحاً ، حينما عاد (عصام) إلى منزله ، بعد أن أبلغ عن سرقة سيارته ، وكان يشعر بإرهاق عنيف ، وهو يلقي جسده

المكدود على فراشه الصغير ، إلا أن هذا لم يمنعه من إدارة جهاز التسجيل الصغير ، الذى ثبتته فى إطار الفراش ، لتبث منه موسيقى هادئة مريحة ..

وداعب النوم جفنيه فى إصرار ، فأرخاهما وهو يحاول أن ينفذ عن عقله كل ذكريات تلك الليلة ، بكل ما حوته من أحداث ، إلا أن نقطة محدودة من تلك الأحداث ، طرقت رأسه فى قوة ، فعاد يفتح جفنيه عن آخرهما ، ويعتدل جالساً فى فراشه ، وأسرع يده تلتقط من معطفه ذلك المظروف ، الذى أعطاه إياه الأجنبى ، قبل مصرعه ، وتحسسه فى اهتمام ، وهو يغمغم :

— أية رسالة تحتويها يا ترى ؟

كان من الواضح أن المظروف يحوى شيئاً رقيقاً وصلباً فى الوقت ذاته ، ولقد عجز (عصام) عن مقاومة فضوله ، وهو يفتحه ، ويلتقط من داخله أسطوانة رقيقة ، من أسطوانات الكمبيوتر ، راح يتطلع إليها فى خيرة ، وهو يغمغم :

— أية رسالة هذه ؟

خامره فجأة شعور قوى ، بأن هذه الأسطوانة الصغيرة الرقيقة ، التى يمسكها بأصابعه ، تحوى من المعلومات

ما يستحق أن يقتل رجل من أجلها ، فأعادها فى عناية إلى المظروف ، وهو يغمغم فى توثر :

— يبدو أنك قد أقحمت نفسك فى عملية بالغة الخطورة يا (عصام) .

ونهض ، ليضع الأسطوانة فى مكان جيد ، ثم عاد يستلقى على فراشه ، ويحاول النوم ..

ولكن هيات ..

لقد بدأت المعركة الحقيقية ..



فرك (عصام) عينيه في إرهاب وهو يقول لـ (عماد)
و (غلا) في حجرتهما :

— ولقد قضيت الليلة كلها مسهّدا ، أبحث عن سرّ هذه
الأسطوانة الصغيرة .

تحسّست (غلا) الأسطوانة في خدر ، وهي تقول :
— إن معلوماتي عن الكمبيوتر لا تتعدّى كونه آلة شديدة
التعقيد ، تحتاج إلى لغة خاصّة للتعامل معها .

قال (عماد) ، وهو يتطلّع إلى الأسطوانة في اهتمام :
— معرفة فحوى الأسطوانة ليست بالأمر العسير ،
بالنسبة لمن يجيدون التعامل مع أجهزة الكمبيوتر يا (غلا) ،
ولكن المهم هي خطورة ما تحويه .

سأله (عصام) ، وهو يميل نحوه :
— إنك توافق معي على أنها معلومات بالغة الخطورة ..
أليس كذلك ؟

أوما برأسه إيجابيا ، في حين سألت (غلا) (عصام) في
دهشة :

— ولكن لماذا أخفيت أمر هذه الأسطوانة عن أبي ؟
تنهّد ، وهز رأسه ، وهو يقول :
— لست أدرى !.. ربّما خشيت أن يأخذها مني ،
فأجهل لغزها إلى الأبد .

غمغم (عماد) :
— ربّما كان هذا هو الأفضل يا أستاذ (عصام) .

سأله (عصام) في قلق :
— لماذا ؟

تبادل (عماد) و (غلا) نظرة قلقة ، ثم أجاب
(عماد) :

— من الواضح أن هذه القضية تفوق قدراتنا هذه المرّة
حقا يا أستاذ (عصام) .

تبخّر كل أثر للنوم أو الإرهاق من عيني (عصام) ، مع
انفعاله الشديد ، وهو يسألهما :

— ماذا تعنيان ؟.. إنكما تبدوان لي قلقين لأوّل مرّة ، من
البحث عن حل لغز ما !

هفتت (غلا) في توتر :

— ألم تفهم الأمر بعد يا أستاذ (عصام) ؟.. ألم تفهم معنى

أن يقتل بعض الأجانب أجنبيًا ، على أرض لا تخص أحدهما ،
من أجل أسطوانة كمبيوتر ؟ .. ألم تقرأ في حياتك واحدة من
قصص المخابرات والجاسوسية ؟

امتنع وجهه ، وهو يغتم في شحوب :

— يا إلهي !! هل تعنيان ؟

أجابته (غلا) في توتر :

— بلا شك يا أستاذ (عصام) لقد أوقعت بنفسك في

أثون حرب لا هوادة فيها .

وأكمل (عماد) في انفعال :

— حرب المخابرات .

جلس (عصام) خلف مكتبه في الجريدة متوترًا ، شاردًا ،
وأصابه تداعب الأسطوانة الصغيرة الرقيقة ، في مظهرها
داخل جيبه ، وأصابع يده الأخرى تنقر على سطح المكتب في
عصبية ، حتى سأله رئيسه في قلق :

— ماذا هناك يا (عصام) ؟

تطلع إليه (عصام) في دهشة ، وكأنما يلحظ وجوده
لأول مرة ، ثم لم يلبث أن أجاب في توتر :

— ما الذي جعلك تتصور أن هناك شيئًا ما ؟

جذب رئيسه مقعدًا ، وجلس إلى جواره ، ومال نحوه

يمس في هدوء :

— لا تحاول أن تنكر يا (عصام) .. إنني أعرفك جيدًا ،

ويمكنني أن أفهم متى تكون متوترًا للغاية .. أخبرني ماذا
هناك

زفر (عصام) من أعماق صدره ، وهو يقول :

— إنني أبحث عن حل لمشكلة ما .

سأله رئيسه في تعاطف :

— هل يمكنني مساعدتك ؟

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول في ضيق :

— كلاً .. لست أظن ذلك ، ف

بتر عبارته فجأة ، وبدا وكأن شيئًا ما قد اجتذب تفكيره

في غمق ، ثم التفت إلى رئيسه ، يسأله في اهتمام :

— نعم .. ربّما .. هل تعرف الرجل الذي يعمل على

الكمبيوتر الرئيسى في الجريدة ؟

رفع رئيسه حاجبيه في حيرة ، وهو يقول :

(نجدى) .. بالطبع .. إنه مهندس كمبيوتر ممتاز

ماذا تريد منه ؟

أخرج (عصام) من جيبه أسطوانة الكمبيوتر ، وهو

يقول :

— هل يمكنه معرفة فحوى هذه الأسطوانة ؟

غمغم رئيسه ، وهو يتطلع إلى الأسطوانة في تساؤل :

— أعتقد ذلك .

ثم نهض مستطردا :

— لِمَ لا نذهب ونسأله مباشرة ؟

تردّد (عصام) لحظة ، ثم نهض وهو يتمتم في حزم :

— نعم .. ولِمَ لا ؟

ابتسم مهندس الكمبيوتر (نجدى) ، وقال وهو يدرس

الأسطوانة في التجويف الخاص بذلك ، في قاعدة جهاز

الكمبيوتر :

— هذا ممكن بالطبع يا أستاذ (عصام) .

ثم أخذ يضغط أزرار الكمبيوتر ، وهو يقول :

— كل ما علينا هو ، أن نطلب من الكمبيوتر استعادة

ما تحويه الأسطوانة من معلومات ، وبعدها سيقوم هو بكل

العمل .

تعلّق بصر (عصام) ورئيسه بشاشة الكمبيوتر ، التي

ظهرت فوقها كلمات بالإنجليزية ، تقول :

— مستعد .. مطلوب الكود السريّ .

عقد (نجدى) حاجبيه ، وهو يذهب بأصابعه نحو أزرار

الكمبيوتر ، سائلا (عصام) :

— ما الكود السريّ يا أستاذ (عصام) ؟

ارتبك (عصام) ، وهو يغمغم :

— هذا ما أريد منك أن تبحث عنه يا أستاذ (نجدى) .

رفع (نجدى) حاجبيه في دهشة ، وهو يحذق في وجهه ،

ثم قال في حدة :

— أبحث عنه ؟! .. أبحث عن كود سريّ لبرنامج كمبيوتر

خاص ؟! .. هل تمزح ؟! .. إن ما تطلبه أكثر صعوبة من

البحث عن إبرة في كومة من القش .

غمغم (عصام) في توثر :
— ألا يمكننا أن نحاول على الأقل ؟

هتف (نجدي) في غضب :

— ماذا نحاول ؟ .. وبماذا ؟ .. هل تعلم ما الكود
السري ؟ .. قد يكون رقمًا ، أو كلمة ، أو رمزًا ، أو
مزيجًا من كل هذا ، .. هل تعلم كم محاولة ينبغي بذلها ، للتوصل
إلى هذا الكود السري ؟ .. بلايين المحاولات .. وقد يبلغ الأمر
أكثر من ذلك ، بل قد تحتاج إلى عمرك كله ، لتصل إلى مثل
هذا الشيء ، الذي تطالبني بمحاولة التوصل إليه .
وانتزع الأسطوانة من الكمبيوتر في حدة ، وناولها
لـ (عصام) مستطرذا :

— لقد أخطأت جهة البحث يا أستاذ (عصام) .
عقد رئيس قسم الحوادث حاجبيه في تساؤل ، وهو يتطلع
إلى (عصام) ، الذي أعاد الأسطوانة إلى جيبه ، وهو يغمغم
في خجل وارتباك :

— ألا توجد جهة يمكنني أن ألجأ إليها وتعاونني على هذا ؟
هتف (نجدي) في صرامة :
— مطلقًا .



— كل ما علينا هو ، أن نطلب من الكمبيوتر استعادة ما تحويه
الأسطوانة من معلومات ، وبعدها سيقوم هو بكل العمل ..

إلا أنه لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يستدرك :

— اللهم إلا

سأله (عصام) في لهفة :

— إلا ماذا ؟

هزّ (نجدى) رأسه ، وهو يغمغم :

— كلاً .. لا أعتقد أنه يمكنك أن تطلب معاونتهم .

سأله (عصام) ، وهو يتشبّث به في لهفة :

— مَنْ هم يا أستاذ (نجدى) ؟ .. من هم ؟

نقل (نجدى) بصره بين (عصام) ورئيسه في تردّد ، ثم

أشاح بوجهه ، وهو يغمغم في ضيق :

— إدارة المخابرات العامّة .

جلس (عصام) خلف مكتبه حائراً ، وقد تضاعف تأثيره

أضعافاً ، واقترب منه رئيسه ، وهو يسأله في تعاطف :

— هل يهْمُكَ حقاً أن تعرف فحوى هذه الأسطوانة ؟

أوماً (عصام) برأسه إيجاباً ، وهو يتنهّد في غمق ، فعاد

رئيسه يسأله في اهتمام :

— أيتعلّق فحواها بتحقيق جديد ؟

تطلّع إليه (عصام) لحظة بلا انفعال ، ثم أجاب :

— أتعشّم ذلك .

اعتدل رئيسه ، وهو يقول :

— في هذه الحالة يمكننا تدبير الأمر .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يسأله في اهتمام :

— كيف ؟

لوح رئيسه بكفه ، وهو يقول :

— هل تعرف زميلنا (صالح موسى) ؟ .. إنه يرتبط

بإدارة المخابرات العامّة ارتباطاً وثيقاً ؛ فهو يضع روايات

الجاسوسية ، التي يكتبها ، والتي نالت شهرة واسعة ، بعد

روايته (بكاء عيون غادرة) ، من ملفّات المخابرات العامّة ،

وهم يمنحونه ثقة كبيرة ، ويمكننا أن نعطيه الأسطوانة ، وعليه

أن يستغلّ صداقاته بهم في معرفة فحواها .

ارتجف جسد (عصام) من فرط الانفعال ، وهو يسأله :

— هل تظن أنه من الممكن أن يفعل ؟

ابتسم رئيسه ، وهو يقول :

— بلا شك .

بذل (عصام) جهذا خارقا ليسترد جأشه ، قبل أن يقول
في صوت خنقه انفعاله :

— آية أسطوانة ؟

أناه الصوت الحشن الأجش ، يقول في صرامة :

— لا وقت لمثل هذه المحاورات السخيفة ، أريد
الأسطوانة ، أو

غمغم (عصام) في اضطراب :

— أو ماذا ؟

نقلت إليه أسلاك الهاتف ضحكة وحشية مقببة ، مخيفة ،
شرسة ، قبل أن يقول الصوت الأجش في سخرية :

— أو أصنع من بقاياك شيئا أقل حجما ، وأكثر رقة .
امتقع وجه (عصام) في شدة ، ووضع سماعة الهاتف في
ذُعر ، وهو يردد :

— يا إلهي !! يا إلهي !

ثم نهض من خلف مكتبه ، وأخذ يجمع أوراقه في عجلة ،
وهتف بأحد زملائه :

— سأغيب بضعة أيام ، لضرورة قصوى .

ابتسم زميله ، وهو يقول في هدوء :

ناوله (عصام) الأسطوانة ، وهو يسأله في لهفة :

— ومتى يمكنني معرفة الجواب ؟

التقط رئيسه الأسطوانة ، وهو ينهض قائلا :

— سأطلب منه أن يحاول جعل ذلك في أقرب فرصة
ممكنة .

هتف (عصام) في انفعال :

— نعم ياسيدى .. أرجوك .

ابتسم رئيسه ، وهو يقول في إشفاق :

— اطمئن .

وغادر الحجرة في خطوات سريعة ، ولم يكذب يختفى من
أمام عيني (عصام) ، حتى ارتفع رنين الهاتف المجاور له ،
فالتقط سماعته في حركة آلية ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول
في شرود :

— (عصام كامل) من قسم الحوادث .. من المتحدث ؟

انتفض جسده ، حينما جاءتة الإجابة بصوت خشن أجش ،

يقول بلغة عربية ، وبلكنة أجنبية واضحة :

— أين الأسطوانة ؟

— أهو تحقيق جديد ؟

هتف (عصام) ، وهو يندفع خارجاً :

— نعم .. نعم .. هو كذلك .

واندفع خارج القسم ، واتجه في خطوات سريعة مضطربة إلى المصعد ، ثم لم يلبث أن توقّف بغتة ، ودار على أعقابهِ ، واتجه نحو السُّلم ، وأخذ يهبط في درجاته قفزاً ، حتى وصل إلى الطابق السفلى ، فتلقّت حوله في توثر ، وتجاهل باب الجريدة الرئيسي ، واتجه في خطوات أقرب إلى العُدُو إلى باب جانبي صغير ، ودلف منه إلى الطريق ..

وفجأة .. وقبل أن يتعد عن الباب ، ارتطمت بالحائط المجاور له رصاصة ، وسقطت أسفل قدميه ..
لقد بدأت الحرب تستعِر ، وتضيّق حلقائها حوْل عُقْبهِ ..

٦ — في قبضتهم ..

« ياإلهي !! .. وماذا فعلت ؟ » ..

هكذا هتفت (غُلا) في جزع ، فغمغم (عصام) ، وهو يمسح جبينه بكفه ، ومازال التوثر واضحاً في قسماته :

— لاشيء .. لقد تسمّرت في مكاني تماماً ، وجعلني الرُعب أتجمّد ، كمثال من الرخام ، ولا شك أن عيني قد جحظتا ، وأنا أبحث عن النقطة التي انطلقت منها الرصاصة .
سأله (عماد) في قلق :

— ثم ماذا ؟

هزّ (عصام) رأسه نفياً ، وقال :

— لاشيء على الإطلاق !! .. لقد توقّعت حينذاك أن تستقر في رأسي رصاصة أخرى ، وتملّكني رُعب هائل ، ولكن شيئاً لم يحدث .

عقد (عماد) حاجبيه ، وهو يقول في توثر :

— من الواضح أنهم كانوا يحاولون إرهابك فحسب .
ياأستاذ (عصام) .

زفر (عصام) ، وهو يغمغم :

— لم تكن بهم حاجة إلى ذلك ، لقد كان الرعب يسرى
في كل خلية من خلاياي .

قالت (غلا) :

— لقد أرادوا أن يؤكدوا لك قدرتهم على اقتناصك ، في
أية لحظة ، وفي أى مكان .. ومن الواضح أنهم محترفون ، فقد
كانوا يعلمون أنك لن تخرج من الباب الرئيسى ، بعد أن
أثارت مكالمتهم خوفك وانفعالك ، وأنت ستحاول الخروج
من الباب الجانبى الصغير ، فكمنوا لك في مكان يطل عليه .
هتف (عصام) في خنق :

— ولكن كيف علموا من أنا ، وأين أعمل ؟

أجابه (عماد) :

— من سيارتك يا أستاذ (عصام) ؟

هتف (عصام) في دهشة :

— سيارتى ؟

أجابته (غلا) :

— نعم .. إنهم لم يسرقوا سيارتك ؛ لينقلوا بها جثة
الأجنبى إلى مكان آخر ، كما كنا نتصور ، وإنما ليراجعوا بياناتها
في إدارة المرور ، ويعلموا منها اسمك وعملك .

غمغم (عصام) في اضطراب :

— يا إلهى !!

تبادل (عماد) و (غلا) نظرة قلقة ، وغمغمت
(غلا) :

— لو أردت رأينا يا أستاذ (عصام) ، فنحن نتفق على أنه
من الأفضل أن تترك هذه القضية كلها للشرطة .

غمغم (عصام) :

— أو للمخابرات العامة .

أجابه (عماد) في صوت خافت :

— سيكون هذا أفضل .

زأن عليهم الصمت لحظات ، ثم قال (عصام) :

— أعتقد أن المخابرات العامة هى التى ستخذ هذا

القرار .

سأله (عماد) في دهشة :

— وكيف ؟

صمت (عصام) لحظة إضافية ، ثم أجاب :

— لو أنهم وجدوا في أسطوانة الكمبيوتر ما يستحق ،

فستدخّلون دون أن أطالبهم بذلك .

وعقد حاجيه ، مستطرذاً في توثر :

— وهذا سيحسم الأمر

أيقن (عصام) أنه لم يعان كل هذا القدر من التوثر والعصية والاضطراب ، في حياته كلها ، حينما كشف أنه يقطع زهوة منزله جيئة وذهاباً ، منذ ساعتين كاملتين ، دون توقّف ، وتضاعف في أعماقه شعوره بخطورة موقفه ، فسَرَتْ في جسده قُشغريّة جديدة ، وهو يتمم في حَنَق :

— لماذا يختارني القدر دوماً لمثل هذه المآزق ؟

حِيلَ إليه أن عقله يخبّيه قائلًا :

— ربّما لأنك الشخص المناسب للتغلّب عليها .

— هُراء .. (عماد) و (غلا) هما دوماً صاحبا الفضل .

— ولكنها هذه المرّة قضيتك وحدك .

— وربّما كانت الأخيرة .

— من يدري ؟ .. لعلها الأولى .

— الأولى في ماذا ؟

— الأولى في سلسلة جديدة من التحقيقات ، تستقلّ فيها

بنفسك .

— ومن قال إنني أرغب في الاستقلال عن (عماد)

و (غلا) ؟

— ليس من الضروري أن تعمل وحدك ، ولكن نجاحك

في هذه القضية سيجعلك أكثر ثقة بنفسك وبقدراتك .

— إنني أثق بنفسى كثيرًا .

— كذب .. لا تحاول أن تتحدّ نفسك ، لقد اعترفت منذ

لحظات بأن الفضل يعود دوماً إلى (عماد) و (غلا) ،

وهذا يعنى أنك تظن دورك إلى جوارهما ثانويًا .

— ربّما كانت هذه هي الحقيقة .

— وربّما لا .. لم لا تحاول أن تكشف ذلك بنفسك ؟

— وماذا لو فعلت ، ثم دقّ جرس الباب ، ووجدت أمامي

رجلا يطلق النار على رأسى ؟

لم يكذب يلقي هذا التساؤل ، في حوارهِ مع عقله ، حتى دقّ

جرس الباب بالفعل ، فانتفض جسده ، وهو يهتف في جَزَع :

— من ؟ .. من بالباب ؟

أتاه صوت هادئ من خلف الباب ، يقول :

— إنه أنا يا (عصام) .. (صالح) .. (صالح موسى) ؟

ارتفع حاجبا (عصام) في دهشة ، وهو يغمغم :
 - (صالح موسى) ؟ !
 وفتح الباب في حذر ، وهو يقول في توتر :
 - ولكنها أول مرة تأتي لزيارتي فيها .
 ابتسم (صالح) ، وهو يقول في هدوء :
 - هناك دائما بداية لكل شيء .. أليس كذلك ؟
 ظل (عصام) يحدّق في وجهه بمزيج من الدهشة
 والخيبة ، حتى هتف (صالح) في مرح :
 - ألن تدعوني للدخول ؟
 انتبه (عصام) إلى أنه يستد المدخل بجسده ، فأفسح
 الطريق ، وهو يقول :
 - بالطبع .. مرحباً بك يا (صالح) .
 دلف (صالح) إلى المنزل مبتسماً في هدوء ، وتطلّع إليه
 وهو يقول :
 - إنك تملك منزلاً أنيقاً يا (عصام) .. أتقيم فيه
 وحدك ؟
 غمغم (عصام) ، وهو يُغلق الباب في إحكام :
 - لقد كنت أقيم فيه مع أبي ، قبل أن يتوفاه الله ، والآن
 أقيم فيه وحدي .



دق جرس الباب بالقفل ، فانتفض جسده ، وهو يهتف في جزع :
 - من .. ؟ من بالباب ؟

جلس (صالح) ، وهو يتسم قائلاً :

— ألن تدعوني لتناول قدح من الشاي ؟

غمغم (عصام) :

— بالطبع .. ولكن

تردّد لحظة ، قبل أن يسأله في توثر :

— ما سرّ هذه الزيارة المفاجئة يأتري ؟

هزّ (صالح) كتفيه ، وهو يقول في بساطة :

— جئت لأعيد إليك أسطوانتك .

وأخرج من جيبه أسطوانة الكمبيوتر ، وناولها

لـ (عصام) ، الذى التقطها ، وهو يسأله في لهفة :

— هل رفضوا حلّ كودها السرى ، في المخابرات العامة ؟

عاد (صالح) بهزّ كتفيه ، وهو يقول في لامبالاة :

— بل لقد فعلوا .

ارتفع حاجبا (عصام) في دهشة ، وهو يهتف :

— في هذا الوقت القصير .

ابتسم (صالح) ابتسامة ، بدت في عيني (عصام)

ماكرة ، وهو يقول في هدوء :

— إنهم يمتلكون أحدث أجهزة الكمبيوتر في العالم ،

ولديهم رجال يمتلكون خبرات واسعة في هذا المجال .

هتف (عصام) في لهفة شديدة :

— وماذا وجدوا عليها ؟

مطّ (صالح) شفثيه ، وهزّ كتفيه ، وهو يقول :

— لا شيء .. إن الأمر لم يستغرق منهم أكثر من دقيقة ،

فالكود السرى مدوّن على غلاف الأسطوانة .

استعت عينا (عصام) في دهشة غارمة ، وهو يهتف :

— على غلاف ماذا ؟

أجاب (صالح) ، وهو يشير إلى الأسطوانة :

— على غلافها ، فهى مجرد لعبة من ألعاب الفيديو

الإلكترونية .

حدّق (عصام) في الأسطوانة في ذهول ، وهو يغمغم :

— لعبة ؟

قال (صالح) في ضيق :

— نعم .. لعبة .. ولقد سخروا منى .

عاد (عصام) يزدّد في ذهول :

— لعبة ؟

كاد يهتف بأنه من المستحيل أن يُقتل رجل من أجل لعبة ،
مهما بلغت جودتها ، إلا أنه احتفظ بهتافه من أعماقه ، وابتلع
توثره وشكوكه ، وهو يدسّ الأسطوانة في جيبه ، مُتَصَنِّعًا
الهدوء ، ومغمغمًا :

— نعم .. يبدو أننى قد حملت الأمور مالا تطيق .

ابتسم (صالح) ، وهو يقول :

— يبدو أن هذا ما حدث بالفعل .

ثم استطرد في مرج :

— والآن هيا .. إذا كنت تنوى دعوتى إلى قدح من
الشاي ، فعلى به ، فسيكون عليك بعد أن نتاوله أن توصلى
إلى منزلى ، إذ أن سيارتى تمر الآن بمرحلة إصلاح .

غمغم (عصام) ، وهو يرسم على شفّيته ابتسامة شاحبة :

— يؤسفنى ألا أستطيع ذلك يا صديقى .. فلقد سُرقت

سيارتى فجرَ اليوم و

قاطعه (صالح) ، وهو يهتف في استنكار :

— سُرقت ؟! .. أتمرح ، أم تحاول التصلُّ من توصيل ؟!

لقد رأيت سيارتك أمام باب البناية يا صاح .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يهتف في ذهول :

— سيارتى ؟!

وقبل أن ينبس (صالح) بِبَنْتِ شَفَّة ، اندفع (عصام) نحو
نافذة البهو ، وأطلَّ منها على مدخل البناية ، ثم لم يلبث أن
تراجع مصعوقًا .. فلقد كانت سيارته تستقر بالفعل أمام
المدخل ، نظيفة ، لامعة ، وقد تمَّ وضع زجاج أمامى جديد
لها ..

كانت رسالة فهمها (عصام) على الفور ، وأدرك
معناها ..

رسالة تؤكِّد أنه لن يفلت منهم ..

تؤكِّد أنه مازال في قبضتهم ..

في قبضة رجال حزب المخبرات ..



٧ - انفجار ..

حاول (عصام) أن يتالك جأشه ، وأن ييدو قوياً
متماسكاً ، أمام (صالح موسى) ، إلا أن امتقاع وجهه
الشديد ، وارتجاف أطرافه الواضحة ، جعلاً هذا الأخير يهتف
في جَزَع ، وهو يُهْرَع إليه :

— ماذا هناك يا (عصام) ؟ .. ماذا حدث ؟

تطلّع (عصام) إلى وجهه بعينين مذهولتين ، يطلّ منهما
الفرع واضحاً ، وراودته رغبة شديدة في أن يقصّ عليه الأمر
كله ، ويطلب منه شرح الأمر للمخابرات العامة ، لتبحث
القضية بمعرفتها ، إلا أن هذا الحاطر وحده أصاب كرامته
بطعنة شديدة ، جعلته يتالك جأشه في سرعة ، ويغمغم في
ارتباك :

— لا شيء يا صديقي .. مجرد دُوارٍ مفاجئ فحسب .

تطلّع إليه (صالح) بعينين فاحصتين ، وكأنهما يحاول سبر
أغواره ، وهو يسأله في هدوء :

— فقط ؟

أشاح (عصام) بوجهه ، محاولاً تفادي نظرات
(صالح) الفاحصة ، وهو يغمغم في إصرار :

— فقط .

ظلّ (صالح) يتفحص ملامحه لحظات ، ثم لم يلبث أن
ابتسم في هدوء ، وهو يقول :

— أهي محاولة ثانية للفرار من إيصالى إلى منزلى ؟

أجبر (عصام) نفسه على الابتسام ، وهو يجيب :

— لا ، ياسيدى .

ثم نهض مستطرداً في مَرَحٍ مُصْطَنِع :

— ولكننا سنتناول الشاي معاً أولاً .

واتجه نحو مطبخه ، وهو يتمتم في صوت لم يبلغ مَسَامِعَ
(صالح) :

— هذا كل ما يمكننى عمله الآن ..

تحدّث (عصام) و (صالح) طويلاً في تلك الليلة ،
وأنسم حديثهما بالودّ والتفاهم ، دون أن يشير أحدهما مرّة
واحدة - مجرد إشارة - إلى موضوع السيّارة ، التى عادت
تتخذ مكانها أمام منزل (عصام) ..

كان حديثهما كله يدور حول رواية (صالح موسى)

الأخيرة ، التي تحمل اسم عميل للمخابرات المصرية ، عاش نصف عمره في (إسرائيل) ، كمواطن إسرائيلي ، لحساب (مصر) .. وأفاض (صالح) في الحديث ، وتطرق منه إلى الجاسوسية بوجه عام ، وراح يشرح لـ (عصام) العديد من وسائل التجسس ونقل الأسرار ، دون أن يؤقن (عصام) مما إذا كان ذلك الحديث متعمداً ، أو أنع كان من الضروري أن يقودهم إليه الحديث عن رواية (صالح) ..

ولولا أن (عصام) هو الذي بدأ الحديث عن الرواية ، ما انتزع من ذهنه أبداً تلك الشكوك ، التي راودته مع بداية حديث (صالح) عن الجاسوسية ..

ولم يتاولا قدحاً واحداً من الشاي في تلك الليلة ، وإنما تناولا أقذاحاً ..

لقد ظلَّ الحديث بينهما متصلاً ، مشيراً ، حتى وهما يتناولان معاً طعام العشاء البسيط ، الذي أعدّه (عصام) ، الذي على الرغم من بقاءه يومين كاملين دون نوم تقريئاً ، كان حيويًا ، نشيطاً طيلة الوقت ..

وأخيراً أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة والنصف مساءً ، فنهض (صالح) ، وتواءب ، وهو يقول مبتسمًا :

— أمسية رائعة حقًا يا (عصام) ، شكرًا لك .. كم يؤسفني أننا لم نخطبها من قبل .

أراد (عصام) أن يقول إنها أمسية رائعة بالفعل ؛ لأنها أزلت من نفسه كل ما كان يشعر به من توثر ، إلا أنه اكتفى بأن قال :

— يمكننا أن نكررها بالطبع ؟

هتف (صالح) في حماس :

— بالتأكيد .

ثم ابتسم ، وهو يغمز بعينه ، مستطردًا :

— والآن ، أمازلت تصرُّ على إيصالى إلى منزلى .

ضحك (عصام) ، وهو ينهض قائلاً :

— كل الإصرار .

عادا يواصلان حديثهما ، وهما يبهطان معاً في درجات السلم ، حتى بلغا سيارة (عصام) ، فطلَّع إليها هذا الأخير ، وقد عاوده توثره ، وهو يقول :

— هل تصدَّقى لو قلت لك إن هذه السيارة كانت مسروقة بالفعل ، وإن سارقها قد أعادها إلَّى هنا ، وبُدِّل زجاجها الأمامى أيضًا ؟

ضحك (صالح) ، وهو يقول :

— سأصدق أى شيء ، مادمت ستوصلنى إلى منزلى .

ابتسم (عصام) فى شحوب ، وفتح باب سيارته ، ودلف إليها ، ثم مدّ يده ؛ ليفتح الباب الآخر لـ (صالح) ، إلا أن يده تجمّدت فى مكانها ، وجحظت عيناه فى رُعب ، حينما وقع بصره على ورقة ملصقة على زجاج السيارة من الداخل ، تقول كلماتها الإنجليزية البسيطة :

— لقد أصلحنا زجاج سيارتك ، وأعدناها إليك ..
ولكن حذار أن تفتح بابها ، أو تدلف إليها ، فبمجرد أن تفعل ، ستبدأ قبلة موقوتة ، مثبتة أسفلها ، فى العمل .. ومن المؤسف أن هذه القبلة تنفجر بعد ثلاثين ثانية فقط من تشغيلها .. حاول أن تتحاشى ذلك .

ثلاثون ثانية!؟

كم ثانية مرّت منذ فتح باب سيارته ، ودلف إليها ؟ ..

كم بقى أمامه من وقت ؟ ..

ودون أن يضع ثانية واحدة إضافية ، قفز (عصام) خارج السيارة ، وصاح فى وجه (صالح) :

— ابتعد .. ابتعد بالله عليك .

صاح به (صالح) فى توثر :

— ماذا حدث ؟

لم يكن هناك وقت يكفى لشرح الأمر ؛ لذا فقد قفز (عصام) فوق مقدّمة سيارته ، وقفز مرّة أخرى نحو (صالح) ، وجذبه إلى مدخل البناية ، وهو يصرخ :

— ابتعد أولاً .

ودوى الانفجار ..



مطَّ العقيد (خيرى) شففيه ، وهزَّ رأسه فى حيرة ، وهو يتطلَّع فى أسف إلى بقايا سيَّارة (عصام) ، وغمغم فى دهشة لم يحاول إخفاءها :

— ولكن لماذا ؟ .. لماذا يفجَّرون السيَّارة ؟

كان هناك حشد كبير من سكَّان الحى يحيطون به ، وعشرات الأصعاف منهم يطلُّون من النوافذ ، على الرغم من أن عقارب الساعة كانت قد تجاوزت منتصف الليل ، لذا فقد خفض (عصام) صوته ، وهو يجيب :

— كانوا يحاولون قتلى .. أو إرهابى على الأقل .. ولولا أن نجحنا أنا و (صالح) فى الاحتواء بمدخل البناية ، فى اللحظة الأخيرة ، لتكلَّل هدفهم بالنجاح .

عاد العقيد (خيرى) يهزُّ رأسه فى حيرة ، وهو يغمغم :

— كل هذا لإخفاء جريمة قتل ؟

لم ينبس (عصام) أو (صالح) ببنت شفة ، فرفع العقيد (خيرى) عينيه إليهما ، يتأملهما فى غمق ، قبل أن يقول لـ (عصام) :



لذا فقد قفز (عصام) فوق مقدِّمة سيارته ، وقفز مرَّة أخرى نحو (صالح) ، وجذبه إلى مدخل البناية ..

— لقد عثرنا على الأجنبي .. أو بالأحرى على جثته .

سأله (عصام) في هدوء .

— أين ؟ ..

هزَّ العقيد (خيرى) رأسه ، وهو يجيب :

— ألقاها بعضهم في النيل ، بعد أن جرَّدها من كل ما يمكنه

إثبات شخصية صاحبها .

سأله (عصام) في توتر :

— كيف ثوقن من أنه نفس الرجل إذن ؟

لوحَّ العقيد (خيرى) بكفِّه ، وهو يقول :

— إنه أجنبى ، يحمل نفس الإصابات التى ذكرتها أنت ،

رصاصه في صدره ، وأخرى في مؤخرة رأسه ، فمن يكون

سواه ؟

أوماً (عصام) برأسه موافقاً ، وهو يغمغم :

— إنه هو لاشك .

شاركه العقيد (خيرى) إيماءة الرأس ، وقال :

— سنبدأ في البحث عن هويته ، في الصباح الباكر .

غمغم (عصام) في شروء :

— أنعشَّم أن تنجحوا .

أجابه العقيد (خيرى) في صرامة :

— سنفعل بإذن الله .

ثم أردف في حزم :

— والآن غُدِّ إلى منزلك ، فوجهك يُنبئُ عن حاجتك

الشديدة للراحة .

تنهَّد (عصام) ، وهو يقول :

— سأفعل .

ثم أشار إلى (صالح) ، مستطرداً :

— ولكن هل يمكنك إيصال (صالح) إلى منزله ؟

غمغم العقيد (خيرى) في هدوء :

— لا بأس .

ابتسم (عصام) ابتسامة شاحبة ، وهو يلتفت إلى

(صالح) ، قائلاً :

— آسف يا صديقى .. إننى لم أعد أملك سيارة بالفعل .

رَبَّتْ (صالح) على كتفه ، وهو يقول في تعاطف :

— لا عليك يا صديقى .. لا عليك .

ثم سحب العقيد (خيرى) إلى سيارته ، وقبل أن يبلغها ،
التفت هذا الأخير إلى (عصام) ، وتأمله لحظة في إشفاق ،
ثم غمغم في صوت يحمل روح الوُدِّ والصدقة العميقين :
— كن على حذر .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :
— سأحاول :

وانطلقت السيارة مبتعدة ..

كان أول ما فعله (عصام) ، حينما صعد إلى منزله ، هو
أن أخرج الأسطوانة من جيبه ، ودسها داخل أحد كتبه ،
وأعاد الكتاب إلى المكتبة ، وسط عشرات الكتب المتشابهة ،
ثم رقد على فراشه ، وحاول أن يعثر على مبرر لما حدث ..
لماذا وضعوا القنبلة في سيارته ، ثم حذروه منها ؟ ..
لو أنهم أرادوا قتله ، ما تركوا له هذا التحذير ..
ولو أنهم يريدون إرهابه فحسب ، فلم جعلوا الفترة ما بين
دخوله إلى السيارة ، وانفجارها ، ضئيلة إلى هذا الحد ؟ ..
لماذا يتعمدون اللعب بأعصابه ؟ ..

٧٠

كانت تلك التساؤلات تدور في رأسه الحائر ، وكان
يرغب في العثور على تفسير لها في شدة ، إلا أن جفنيه ، اللذين
لم يدوقا طعم النوم منذ ليلتين ، عجزا عن المواصلة ، فتراخيا ،
وأغلقا عينيه ، وارتاح عقله المكدود لذلك ، فاسترخى
بدوره ، وراح (عصام) في نوم عميق ..

لم يدر كم استغرق هذا النوم ، ولكنه بالتأكيد لم يطل ..
فلقد شعر (عصام) ببرودة شديدة ، جعلته ينكمش على
نفسه ، ويستيقظ في حمول ، وأدهشه أن نافذة حجرة نومه
كانت مفتوحة .. فسأله في خيرة كيف تركها كذلك ،
وكيف لم ينبه إليها قبل نومه ؟ .. ولكن دهشته تلاشت فجأة ،
وحل محلها رُغْب هائل ، انتفض له جسده كله ، حينما
التصقت برأسه قُوْهة مسدس باردة كالثلج ، وسمع صوتا جافا
يقول في صرامة ، وبعبيرية ركيكة :

— أين الأسطوانة ؟

واختلج قلبه في عُنف بين ضلوعه ..

مضت لحظات تجمّد فيها جسد (عصام) ، وصار باردا
كالثلج ، قبل أن يدير عينيه في بطاء ، ويتطلّع إلى وجه محدّثه ..

كان رجلاً في منتصف الأربعينات ، واضح القوة
والغنى ، تلوح الصرامة والقسوة في كل خدجة من
خلجات وجهه العريض ، الذى يكسوه شعر أشقر قصير ،
وتبدو الشراسة واضحة في عينيه الصارمتين الضيقتين ،
الزرقاوين ، على الرغم من ضوء القمر الخافت ، الذى يتسلل
إلى الحجرة ، عبر نافذتها المفتوحة ..
وفى صعوبة بالغة ، غمغم (عصام) فى صوت
متحشرج :

— أية أسطوانة ؟

لكزه الرجل بقوة مسدسه الباردة فى جبهته ، وهو يقول
فى غضب :

— الأسطوانة التى أعطاك إياها ذلك الوغد
(جاكوب) ، قليل مصرعه .. أسطوانة الكمبيوتر .

غمغم (عصام) فى اضطراب :

— إنها ليست هنا .. إنها فى المكتب .

زجر الرجل ، وهو يقول فى شراسة :

— كاذب .. لقد فتشنا مكتبك منذ ساعة واحدة ، وهى

ليست هناك .

جف لعاب (عصام) فى شدة ، حتى لحيل إليه أنه يذل
جهداً خارقاً ليزدرد ، فأشار بأصابع مرتجفة إلى مكتبته ،
وهو يقول فى صوت خافت مختنق :

— حسناً .. إنها هناك ، داخل أحد الكتب .

التفت الرجل إلى المكتبة فى شراهة ، وأزاح قُوْهه مسدسه
عن جبهة (عصام) ، وهو يتجه إليها فى حركة حادة ..
وهنا صرخت كرامة (عصام) فى استنكار ..

كيف يتركه يحصل على تلك الأسطوانة ، بعد كل ما بذله
من أجلها ؟ ..

كيف يستسلم بعد أن فعل كل هذا ، وبعد أن خسر
سيارته ؟ ..

وفجأة .. انقضَّ (عصام) على الرجل من الخلف ،
وأحاط عنقه بذراعه ، وهو يهتف فى خنق :

— إنك لن تحصل عليها .. لن تحصل عليها مادمُتُ حيًّا .
ارتبك الرجل مع المفاجأة ، وفقد توازنه ، وكاد يسقط
أرضاً ، إلا أنه استعاد تماسكه فى سرعة ، ودفع مرفقه فى صدر
(عصام) ، وهو يهتف :

— فليكن .. سأحصل عليها بعد مصرعك .

أيقن (عصام) - في لحظة من اللحظات - أن نهايته آتية ولا ريب ، إلا أن غريزة البقاء في أعماقه ، والتي تملأ نفس كل كائن حي ، رفضت تماما هذا المصير .. وفي محاولة أخيرة ، التقط (عصام) حذاءه من جوار الفراش ، وقذف به في وجه الرجل ..

كان الأمر مثيرا للضحك ، أن يواجه رجل رصاصات مسدس بفردة حذاء ، ولكن هذا العالم يحمل الكثير ، مما يمكنه أن يثير دهشتنا وخيرتنا ..

لقد ضحك الرجل في أعماقه ، حينما قذفه (عصام) بفردة الحذاء ، وسخر من تلك المحاولة السخيفة ، وانحنى بجسده إلى الخلف ليتفادها ، ولكن تلك الانحناء جعلت نصفه العلوي يندفع خارج النافذة ، ويفقد توازنه .. فالتسعت عيننا الرجل في رعب ، وحاول أن يتشبث بإطار النافذة ، ولكن فردة الحذاء أصابت وجهه في اللحظة نفسها ، ففقد ماتبقي من توازنه ، وهوى جسده من النافذة ، وهو يطلق صرخة مرعبة مفرعة ، قبل أن يرتطم بالأرض في قوة ..

احتمل (عصام) الضربة ، على الرغم من الآلام المبرحة ، التي شعر بها ، وكال للرجل لكمة عنيفة في كليته ، تأوّه لها الرجل ، وصرخ في ثورة :

— أيها الحقير !!

ثم انحنى إلى الأمام في سرعة ، ودارت يده خلف ظهره ، تمسك بعنق (عصام) ، الذي وجد نفسه يندفع إلى الأمام ، وينقلب في الهواء ، ثم يسقط على ظهره ، وحينما استعاد سيطرته على نفسه ، رأى الرجل يرتكن إلى حافة النافذة ، ويصوب إليه مسدسه ، وهو يهتف في سخط :

— أنت الذي أراد ذلك أيها الصحفي الحقير .. أنت

الذي بحث عن مصرعه في إصرار .

وبات من الواضح أنها النهاية ..

نهاية (عصام كامل) ..

وظل (عصام) في مكانه لحظات ، مذهولاً ، غير مصدق
ما حدث ، ثم أسرع نحو النافذة ، وتطلع منها إلى جسد الرجل
المسجى أرضاً ، وغمغم في ذهنه :
— يا إلهي .. لقد نجوت .

وسرت في خلاياه ارتجافة ، وهو يستطرد :
— لقد أراد لي الله (سبحانه وتعالى) أن أواصل البحث .
وانعقد حاجباه ، وهو يردف في حزم :
— وسأفعل إن شاء الله .

التقى حاجبا العقيد (خيرى) في صرامة ، وهو يقول
لـ (عصام) في غضب :

— هل لي أن أفهم ماذا يحدث ؟ .. إنك تحمل الموت
والدمار في كل خطوة من خطواتك ، منذ فجر أمس .

هزَّ (عصام) كتفيه ، وهو يقول :
— إننى أبحث أيضاً عن جواب هذا السؤال ياسيادة
العقيد .

خدجه العقيد (خيرى) بنظرة حادة ، ثم مال نحوه ، قائلاً
في صرامة :



وحاول أن يتشبث بإطار النافذة ، ولكن فردة الحذاء أصابت
وجهه في اللحظة نفسها ، ففقد ما تبقى من توازنه ..

— اسمع يا (عصام) .. لا أحد يمكنه إدانتك في حادث مصرع هذا الرجل ، فمن المؤكد أنه قد اقتحم منزلك . وأراد قتلك لسبب ما ، ولكن هناك نقطة تثير تساؤلي ، ألا وهي : لماذا لم يستغل نومك ، ويقتلك على الفور ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— يمكنك أن تلقي هذا السؤال على جثته .

بدا الغضب واضحاً في عيني العقيد (خيرى) ، وهو

يقول :

— اسمع يا (عصام) .. إن رجال الشرطة ليسوا أغبياء كما

تتصور ، لقد أيقظك هذا الرجل ؛ لأنه كان يبحث عن

شيء ما تملكه أنت ، ويجهل هو مكانه ، شيء يتعلق بالأجنبي

الذى عثرنا على جثته ، وهذا الشيء بالغ الخطورة ، إلى الحد

الذى جعل هذا الرجل يغامر باقتحام منزلك ، ويوقظك في

محاولة لإجبارك على الاعتراف بمكان هذا الشيء .

مطاً (عصام) شفتيه ، وهو يغمغم :

— ربّما .

ازداد انعقاد حاجبي العقيد (خيرى) ، وهو يقول في

سخط :

— إنك تلعب بالنار يا (عصام) ، لقد نجوت مرّتين أو ثلاثاً من موت محقق ، ولكن هذا الحظّ لن يستمرّ طويلاً ، وقد تلقى مصرعك ؛ لإصرارك على إخفاء هذا الشيء .

سأله (عصام) في هدوء :

— ماذا تريد بالضبط يا سيادة العقيد ؟

هتف العقيد (خيرى) في غضب :

— أريد الحقيقة يا (عصام) .. أريد هذا الشيء الذى

يبحثون عنه .

تنهّد (عصام) ، وهو يقول :

— وماذا لو أن هذا مستحيل ؟

تراجع العقيد (خيرى) ، وهو يقول في حزم غاضب :

— فى هذه الحالة سأتحلّى عن الأمر كله ، ولن تجدى إلى

جوارك فى المرة القادمة .

أطرق (عصام) برأسه ، وهو يقول فى أسف :

— يؤسفنى ذلك يا سيادة العقيد ، ولكن إجابتى مازالت

بالتقى .

نهض العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى جدّة :

— فى هذه الحالة يمكنك اعتبارى منسحباً من هذه اللعبة

كلّها

واندفع مغادرًا المكان في غضب ، فزفر (عصام) ، وهو
يغمغم في توثر :
— لعبة ١٩ .. ليتها كانت كذلك ياسيادة العقيد .. ليتها
كانت كذلك .

« لعبة ١٩ .. »

هتف (عماد) في دهشة ، قبل أن يستطرد في خيرة :
— ولكن هذا مستحيل يا أستاذ (عصام) ، لا يمكن أن
تسيل كل هذه الدماء من أجل لعبة على أسطوانة كمبيوتر .
أوماً (عصام) برأسه موافقاً ، وقال :
— إنني أوافقك على هذا الاستنتاج ، فلا يمكن أن يكون
ما تحويه الأسطوانة مجرد لعبة .

قالت (غلا) في اهتمام :

— ربّما كان هذا ما يبدو ظاهرياً فحسب .

سألها (عصام) في انفعال :

— ماذا تعنين ؟

أسرع (عماد) يجيبه ، بعد أن أدرك ماترمى إليه

شقيقته :

— ربّما كانت تبدو كلعبة ، ولكنها تحوى في طياتها
معلومات شفرية ، أو شيئاً من هذا القبيل .
وأكملت (غلا) في اهتمام :
— أو أن المعلومات تبرز عند تحقيق عدد محدود من
الأهداف ، في اللعبة مثلاً .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول في تفكير :

— استنتاج معقول يا صغرى .

ثم نهض مستطرداً في حماس :

— ويمكننا أن نتأكد من صحته .

سأله (عماد) :

— كيف ؟

ابتسم ، وهو يجيب :

— بمعاونة الأستاذ (نجدى) ، خيرنا في عالم الكمبيوتر .

قلّب المهندس (نجدى) أسطوانة الكمبيوتر بين يديه ،
ومطّ شفتيه ، وهو يقول :

— كيف لم تنتبه من قبل إلى أن الكود السرى مدوّن على
غلاف الأسطوانة ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— كنت أتوقع أن تنتبه أنت إلى ذلك .

عقد (نجدي) حاجبيه ، وهو يقول :

— وكيف لي أن أفعل ؟ .. لقد كنت تحتفظ بالغلاف ،

حينما أعطيتني الأسطوانة .

رَبَّتْ (عصام) على كفه ، وهو يقول :

— لا عليك يا صديقي .. جلُّ من لا يخطئ .

ثم استطرد في اهتمام :

— والآن .. هل يمكنك استعادة البرنامج ؟

لَوْحَ (نجدي) بكفه ، وهو يقول :

— بالطبع .. إن هذا من أفقه الأمور .

ثم استدرك في حزم :

— مادمنّا نعرف الكود السريّ .

ثم دفع الأسطوانة في التجويف الخاصّ ، عند قاعدة

الكمبيوتر ، وضغط أزراره ، فظهرت على الشاشة نفس

العبارة السابقة ، التي تقول :

— مستعد .. مطلوب الكود السريّ .

أضاف (نجدي) الكود السريّ هذه المرّة ، فانبعث من
الكمبيوتر صوت معدنيّ موسيقيّ ، وظهرت على شاشته كلمة
واضحة ملوّنة ، بحروف كبيرة ، تقول :

— المعركة .

ثم تراصت تعليمات اللعبة ، وغمغم (نجدي) في
ازدراء :

— إنها مجرد لعبة .

كانت المعلومات المدوّنة على الشاشة تشير إلى الضغط على
الزّرّ ، الذي يحمل الرقم (واحدًا) ، في حالة الرغبة في رؤية
تجربة منضبطة للعبة ، وعلى الزّرّ ، الذي يحمل الرقم
(اثنين) ، في حالة الرغبة في مزاوله اللعبة نفسها ، فأسرع
(عصام) يضغط الزّرّ (واحدًا) ، وهو يغمغم :

— لن نجد وقتًا للعب .. أليس كذلك ؟

لم ينبس (نجدي) ببنت شفة ، وإنما قلب شفتيه في
امتعاض ، في حين ظهرت على الشاشة صورة كمبيوتر لمعسكر
من معسكرات الجيش ، وطائرة تحوم فوقه ، وتمطر ثكناته
بالقنابل ، في تناسق طريف ، تصاحبه موسيقى تأثيرية
معدنيّة .

وانعقد حاجبا (عصام) ، وهو يتابع اللعبة في اهتمام ، ثم
لم تلبث عيناه أن تألقتا في سعادة وظفر ، وهو يهتف :
— يا إلهي !! لقد توصلت إليها .. لقد توصلت إلى
السّر .



١٠ — المبادلة ..

جلس (عصام) خلف مكتبه ، يدون على أوراقه ذلك
الاستنتاج ، الذى توصل إليه ، فى حماس متزايد ، وهو يشعر
بسعادة فائقة ؛ لنجاحه وحده فى حل لغز هذه القضية
بالذات ..

لقد استنتج أن صورة المعسكر ، التى تظهر على شاشة
الكمبيوتر ، ليست مجرد صورة عشوائية ، وإنما هى صورة
لمعسكر حقيقى ، تهدف دولة ما إلى مهاجمته ، وتخطيمه .. أما
الطائرة التى تقصف الثكنات ، فهى إشارة إلى الأجزاء التى
ينبغى إصابتها أولاً ..

فكرة طريفة ومبتكرة ؛ لنقل الأسرار العسكرية وتهريبها ..
من ذا الذى يتابع الشك فى لعبة من ألعاب الكمبيوتر ؟ ..
من ذا الذى يتصور أنها أحدث وسيلة للجاسوسية
الحديثة ؟ ..

وانتابه الزّهو ، وهو يخطّ آخر الكلمات فى استنتاجه .
وتملّكه نشوة النصر ، حتى أنه نسى تمامًا خوفه من انتقام
جواسيس المخابرات الأجنبية ، ولم يعد يذكر سوى ظفّره ..

ولم يكده ينتهى من الكتابة ، حتى سمع صوت (صالح موسى) إلى جواره ، يسأله فى هدوء :
— أهو تحقيق جديد ؟

رفع (عصام) عينيه إليه ، وهتف فى مرح :

— نعم .. وهو أفضل تحقيقاى على الإطلاق .

ابتسم (صالح) ، وهو يقول :

— رائع .. ربمّا حصلت على لقب (شيرلوك هولمز) رسمياً .
بعد نشره .

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

— من يدري ؟ .. ربمّا حصلت على لقب (رجل

المستحيل) .

وطوى الورقة ، التى عليها استنتاجه ، وهو يردف :

— سيكون تحقيقى هذا قبيلة يا صديقى ، وسيفوق

روايك الأخيرة .

اتسعت ابتسامته (صالح) ، وهو يقول :

— إلى هذا الحد ؟

لوح (عصام) بكفه ، وهو يتسهم فى زهو ، فى حين ارتفع

رنين الهاتف الجاور له فى نفس اللحظة ، فالتقط سماعته ،

ووضعها على أذنه ، وهو يقول فى مرح :

— (عصام كامل) من قسم الحوادث .. من المتحدث ؟
أناته نفس الصوت الحشن الأَجَش ، وهو يقول فى صرامة :
— إنه أنا .

تلاشى مرح (عصام) دفعة واحدة ، وانعقد حاجباه ،
وهو يقول فى توثر :

— ماذا تريد ؟

أجابه صاحب الصوت فى خشونة :

— نفس الشيء الذى فقد زميلي حياته من أجله .. أريد
الأسطوانة .

هتف به (عصام) فى حزم :

— مُخال .. لن تحصل عليها أبدا .. لقد انتصرت أنا فى
هذه المعركة .

حمل الصوت الكثير من السخرية ، حينما قال صاحبه :

— هل تظن ذلك ؟

أجابه (عصام) فى تحدّ :

— بل أوقن منه .

ثم أردف فى شماتة :

— لقد عرفت ما الذى تخويه الأسطوانة .

قال صاحب الصوت في سخرية :

— هكذا !؟

ثم أردف في شراسة مفاجئة :

— اسمع أيها المتبجح .. إن ذكاءك ، الذى تتباهى به ،
يبدو بالنسبة لنا أشبه بذكاء حشرة وضيفة ، فى مواجهة عالم
ذرة .

غمغم (عصام) فى حنق :

— أيها الوغد .

لم يند على الرجل أنه قد سمع تعليق (عصام) ، وهو
يستطرد :

— إنك تحوز الأسطوانة .. أليس كذلك ؟ .. حسناً ..

إننى أعرض عليك مبادلتها بشيء ثمين .

هتف (عصام) فى حدة :

— مُحال ، حتى ولو عرضت على كل أموال الأرض .

أجابه الصوت فى سخرية :

— ومن قال إننى أنوى أن أفعل ؟

ثم استعاد خشوته وقسوته ، وهو يردف :

— إني أعرض عليك رُوْحَيْن .

ارتجف جسد (عصام) ، وهو يغمغم فى حيرة :

— رُوْحَان !؟

أجابه الصوت فى شراسة :

— نعم .. إننى أعرض عليك رُوْحَيَّ صديقيك

الصغيرين .. (عماد) و (غُلا) .

تجمدت مشاعر (عصام) لحظة ، على عكس جسده ،

الذى انتفض فى قوة ، وعجز صوته عن مفارقة حنجرته

لحظات ، وحينما نجح ، جاء مرتجفاً ، مختقفاً ، وهو يقول :

— أهى مناورة حقيرة أخرى ؟

أطلق صاحب الصوت ضحكة ساخرة مقببة ، قبل أن

يقول :

— بل حقيقة أيها الذكى .. لقد راقبتك طويلاً ، ورأيتك

تلجأ إليهما كلما واجهتك مشكلة ، وعلمنا أنهما صديقاك ،

وبعد أن تسببت فى مصرع زميلنا ، قررنا أن نستخدمهما

لإجبارك على إعادة الأسطوانة إلينا .

غمغم (عصام) فى صوت مرتجف متخاذل :

— أنت كاذب .

عاد الرجل يطلق ضحكته الساخرة ، قبل أن يقول :

أسرع (عصام) يدُون العنوان ، الذى أملاه عليه
الرجل ، ثم قال فى صوت يشفُف عن توتره :
— سأحضر إليك فى الموعد ، ولكنك لن تحصل على
الأسطوانة ، قبل أن أرى (عماد) و (غلا) .

أجابه الرجل فى سخرية :
— اطمئن .. سترأىها .
ثم استدرك فى صرامة :
— ولكن إياك أن تلجأ إلى الخداع ، فسنقتل الصَّيَّين ،
إذا ماتَ طَرَقَت إلينا ذرَّة واحدة من الشك .
غمغم (عصام) فى ألم :
— لن أفعل .

أطلق الرجل ضحكته الساخرة مرَّة أخرى ، ثم أنهى
الاتصال ، فوضع (عصام) سماعة هاتفه فى بطء ، وهو
يتطلَّع إلى الفراغ فى مرارة ، وانتبه فجأة إلى أن (صالح)
مازال جانبه ، حينما سمعه يسأله فى اهتمام :
— ماذا هناك يا (عصام) ؟
انتفض جسده فى دُعر ، وهو يلتفت إليه هاتفًا :

— هكذا ؟ .. لِمَ لا تتأكَّد إذن ؟ .. إنك لن تجدهما فى
منزلهما ، ولا فى مدرستهما .. فقد اختطفناهما من أمامها ،
ونحتفظ بهما لدينا ، ولن نعيدهما إليك إلاَّ بعد أن نحصل على
الأسطوانة .

تمم (عصام) فى جزع :
— حذار أن تمسَّهما بسوء .
قال الرجل فى شراسة :
— هذا يتوقَّف عليك أيها الذكى .
ازدرد (عصام) لعبابه فى صعوبة ، قبل أن يغمغم فى
تخاذل :

— ماذا تريد ؟
أجابه الرجل فى حزم .
— الأسطوانة .
غمغم (عصام) فى مرارة :
— أين ؟ .. ومتى ؟ ..
أجابه الرجل :
— بعد ساعة واحدة ، فى فيلاً سأملك عنوانها .

— لا شيء .. لا شيء . إنه مجرد موعد ، لابد لي من الوصول إليه بأسرع وسيلة ممكنة .

عقد (صالح) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— موعد ؟!

هتف (عصام) ، وهو يدس الأسطوانة في جيبه ، ويندفع إلى الخارج :

— نعم .. نعم .. موعد عاجل .

لم يحمل وجه (صالح) أى انفعال ، وهو يراقب (عصام) الذى اختفى خارج القسم فى سرعة ، ثم مدّ أصابعه يداعب الورقة ، التى دوّن عليها (عصام) استنتاجه ، والتى تركها خلفه ، والتقطها (صالح) ، وقرأ محتوياتها فى سرعة ، وتمتم فى هدوء :

— عظيم .

وهنا فقط ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ..

١١ — وجهًا لوجه ..

لم يستطع (عصام) منع تلك القشغرية ، التى سرّت فى جسده ، حينما هبط من سيّارة الأجرة التى أقلته ، أمام تلك القيلأ المنعزلة ، فى (المَقْطَم) ، وعلى الرغم من أن الشمس كانت تشرق فى ذلك اليوم ، وتغمر المكان بضوئها ، إلا أن القيلأ بدت له مخيفة ، وهى تقف وحدها فى منطقة خالية من المباني تقريباً ..

ولقد ظلّ واقفاً فى مكانه ، حتى ابتعدت سيّارة الأجرة ، واختفت فى منحى بعيد ، ثم قاوم خوفه ، واتجه نحو القيلأ ، وهو يمسك الأسطوانة داخل جيبه فى قوّة ..

ولم يكد يعبر حديقة القيلأ الصغيرة ، حتى فتح رجل ضخم الجثة بابها ، وعرف (عصام) صوته على الفور ، حينما قال فى خشونة ، وبصوت أجش ، وبلغة عربية ذات لكنة أجنبية :

— أين الأسطوانة ؟

قال (عصام) فى صرامة :

— أين (عماد) و (غلا) ؟

عقد الرجل حاجبيه في حدة ، وهو يقول :

— أرى الأسطوانة أولاً .

أخرج (عصام) الأسطوانة من حبيه في بطاء ، وتألفت
عينا الرجل ، وهو يتطلع إليها ، ولكن (عصام) قبض عليها
بقبضتيه في قوة ، وهو يقول :

— يمكنني أن أهشمها بضغطة واحدة .

زجر الرجل ، وهو يقول في صرامة ووحشية :

— ستكون كمن يوقع شهادة وفاته .

تقدم (عصام) ، وهو مازال يقبض على الأسطوانة
بقبضته ، قائلاً :

— لن أسلمك إياها ، إلا بعد أن أتأكد من سلامة

(عماد) و (غلا) .

رفع الرجل مسدسه في وجه (عصام) ، وبدأ من
الغضب ، الذي ملأ ملامحه ، أنه سيطلق النار على رأسه ، إلا
أنه لم يلبث أن سيطر على انفعاله ، وهو يقول :

— حسناً .. إنهما بالداخل .

تقدم (عصام) إلى داخل القِلا في لهفة ، وتعلق بصره

ب (عماد) و (غلا) ، اللذين يحرسهما رجل ضئيل
الجسد ، واللذين استقبلاه بنظرات ارتياح ، فأسرع إليهما
يسألهما في لهفة :

— هل أنتما بخير ؟

— أولاً برأسيهما إيجاباً ، فهتف الرجل الضخم في لهفة
تشف عن نفاد الصبر :

— هاتِ الأسطوانة .

ازداد (عصام) تشبهاً بالأسطوانة ، وهو يسأله في توتر :

— ما الذي يضمن سلامتنا ، بعد أن أسلمك الأسطوانة ؟

هتف الضئيل ، الذي يصوب مسدسه إلى (عماد)

و (غلا) ، في عصبية :

— يمكننا أن نقتلك الآن لو أردنا .

هتف (عصام) في حزم :

— هذا لا يجيب عن سؤالي ، فيمكنني أن أجِد الوقت

الكافي ؛ لتحويل هذه الأسطوانة إلى فتات ، حتى لو أطلقت

النار على رأسي مباشرة .

زجر الضخم ، وهو يقول بعريته الركيكة :

— ماذا تريد بالضبط ؟



زفر الضخم في ضيق ، ثم صُوب مسدّسه إلى رأس (عصام) ..

أجابه (عصام) في حزم :

— أى شيء يضمن سلامتنا .

زفر الضخم في ضيق ، ثم صُوب مسدّسه إلى رأس

(عصام) ، وهو يقول في غضب :

— اسمع يا هذا .. الشيء الوحيد الذى يمكننى أن أضمنه

لك ، هو أننى سأطلق النار على رأسك بعد دقيقة واحدة ، مالم

تسلمنى هذه الأسطوانة سليمة ، وأريد منك أن تعلم أننا لن

نفيد شيئاً من قتلك ، أو قتل الصبيّين .. فكل ماستفعله بكم

هو أن نقيّدكم هنا في إحكام ، بعد أن نحصل على الأسطوانة ،

فسنعود إلى دولتنا بعد ساعتين فقط ، والطائرة لن تنتظرنا

لحظة واحدة إضافية .

تردّد (عصام) لحظة ، ثم ناوله الأسطوانة ، وهو يقول

في ضيق :

— يبدو أنك لا تترك لى الخيار .

اختطف الرجل الأسطوانة في لهفة ، وأسرع بها نحو

كمبيوتر يحتلّ مكاناً من أركان بهو القنّص ، ودسّها في تجويف

خاصّ أسفله ، وضغط أزراره ، فظهرت على شاشته العبارة

التقليدية ، التى تقول :

— مستعد .. مطلوب الكود السرى .

عاد الرجل يضغط أزرار الكمبيوتر في لهفة ، ولكن شاشة الكمبيوتر ظلت تحمل العبارة نفسها ، بالإضافة إلى كلمة أخذت تضيء وتختفى ، وهو يقول :
— كود خاطئ .

احتقن وجه الرجل ، وعاد يضغط الأزرار مرّة أخرى في عصبية ، ولكن الكلمة ذاتها استمرت تتألق وتختفى في إصرار ، فالتفت الرجل إلى (عصام) في غضب هادر ، ورفع مسدّسه في وجهه ، وهو يهتف :

— أيها اللعين .. ستدفع حياتك ثمنا لهذا الخطأ .

شحب وجه (عصام) ، وهو يغمغم في اضطراب :
— أى خطأ ؟! .. لقد أحضرت لكما الأسطوانة نفسها .
اندفع الرجل نحوه في نورة ، وجذبه من قميصه ، وهو يصيح في غضب :

— أيها الكاذب الحقير .. أين الأسطوانة الأصلية ؟

هتف (عصام) في خيرة وعصبية :
— أقسم لك أنها الأسطوانة الأصلية .. ربّما أخطأت أنت الكود السرى !

صاح الرجل في غضب عنيف ، وهو يلصق فوهة مسدّسه بجهة (عصام) :

— أين الأسطوانة الأصلية ؟!

غمغم (عصام) في دُعر :

— أقسم لك إن هذه

قاطعته (عماد) في هدوء :

— لا تقسم كذباً يا أستاذ (عصام) .

التفت إليه (عصام) في جزع ، وهو يقول :

— ماذا تقول يا (عماد) ؟

أجابته (غلا) في توتر :

— إنها ليست الأسطوانة الأصلية يا أستاذ (عصام) .

تخلّى الضخم عن (عصام) ، وأسرع نحو (غلا) ، يسألها في عصبية :

— أين الأسطوانة الأصلية إذن ؟

تبادل (عماد) و (غلا) نظرة مُفعمّة بالمعاني ، قبل أن

يجيب (عماد) في حزم :

— في إدارة المخابرات العامة .

لم يكده (عماد) ينطق عبارته الأخيرة ، حتى ارتدَّ الضخم مصعوقاً ، وشحب وجهه إلى حدٍّ مخيف ، في حين امتنع الضئيل في شدة ، وتدلَّت فكّه السفلى في بلاهة ، قبل أن يغمغم في رُعب :

— في إدارة المخابرات ١؟

هتف (عصام) في ارتياح :

— (عماد) ١؟ .. (علا) ١؟ .. ماذا تقولان ؟ .. إنكما

لا تدریان معنى عبارتكما .

أجابته (غلا) في حزم :

— بل ندرکه تماماً يا أستاذ (عصام) .

شحب وجهه ، وهو يقول :

— هل .. هل سرقتما الأسطوانة الأصلية ؟

أجابته (عماد) :

— كلاً يا أستاذ (عصام) .. أنت بنفسك سلَّمت

الأسطوانة الأصلية للمخابرات العامة .

ازداد شحوب وجه (عصام) ، وهو يغمغم :

— يا إلهي !! .. ماذا تقول ؟

قالت (غلا) في حزم :

— هذا صحيح يا أستاذ (عصام) .. لقد أعطيت

الأسطوانة الأصلية للأستاذ (صالح موسى) ؛ ليحاول فكُّ

كودها السريِّ في إدارة المخابرات .. ولقد أعادها إليك الأستاذ

(صالح) ، أقصد أعاد إليك أسطوانة ، ولكنها لم تكن

الأصلية ، بل أسطوانة أخرى ، تحوى لعبة عادية ، ولكنها تشبه

تماماً الأسطوانة الأصلية .

هتف (عصام) في دهشة :

— ولكن لماذا ؟

أجابته (عماد) :

— لأن إدارة المخابرات العامة نجحت في التوصل إلى الكود

السريِّ ، للأسطوانة الأصلية ، وأدرك خبراءها على الفور

خطورة ما تحويه من أسرار ، فقرروا أن يحتفظوا بها ، ويعيدوا

إليك أخرى ، دون أن يخبروك بذلك .

عاد (عصام) يغمغم :

— لماذا ؟

أجابته (غلا) :

— حتى تظلّ مقتنعا بأنك تحوز الأسطوانة الأصلية .

صاح الضخم فجأة في قسوة :

— من أخبرك هذا كله ؟

أجاب (عماد) في هدوء :

— لا أحد .. إنه استتاج محض .

هتف في دهشة :

— استتاج ؟!

ثم صوّب مسدّسه إليهما ، وهو يهتف في غضب :

— لن تنجح تلك الخدعة السخيفة ، أريد أن أعرف أين

الأسطوانة الأصلية ؟

أجابته (غلا) في جدّة :

— ألا تفهم ؟ .. قلنا لك إنها في المخابرات العامة .

صاح في غضب :

— إنها خدعة ولا شك .. فلماذا تعيد المخابرات أسطوانة

أخرى إلى هذا الصحفي ، مادامت قد استعادت الأسطوانة

الأصلية ؟

أجاب (عماد) في لهجة أقرب إلى السخرية :

— لأنها الوسيلة الوحيدة للإيقاع بكم أيها الذكي .

امتقع وجهها الرجلين ، وغمغم الضيل في رغب :

— للإيقاع بنا ؟ .. هل تعنيان أن .. . ؟

قاطعت (غلا) في حزم :

— وهل كنت تظن أننا سنخاطر بكشف كل هذا الأمر

أمامك ، لولا ثقتنا في أن المخابرات العامة المصرية قد تبعت

الأستاذ (عصام) إلى هنا .

تبادل الرجلان نظرة ارتياح ، ثم رفع قُوّهة مسدّسه نحو

رأس (عماد) و (غلا) ، وصاح في غضب جنوني :

— إذن فقد فشل كل شيء .. ولكنكم لن تخرجوا من هنا

أحياء ، ولو كان هذا آخر ما أفعله في حياتي .

وانطلقت رصاصة مسدّسه ..

لم يكذب (عصام) يلمح ذلك الجاسوس الضخم ، وهو

يصوّب مسدّسه إلى رأس (عماد) و (غلا) ، حتى تلاشي

من نفسه كل الخوف والتوتر والجزع ، وبقيت في أعماقه

عاطفة واحدة ..

خوفه على (عماد) و (غلا) ..

ودون تفكير .. ودون أدنى ذرة من التردد ، انقضَّ (عصام) على الضخم ، وأمسك معصمه ، ورفع يده عاليًا ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها الرصاصة ، التي أخطأت هدفها ، ومرقت فوق رأسي (عماد) و (غلا) ؛ لتستقر في معدة الضئيل ، الذي اتسعت عيناه في ألم وذهول ، وسقط مسدسه من يده ، وهو يتمتم بعبارة تحمل كل دهشته ، بلغة لم يفهمها أحد ، سوى ذلك الضخم ، الذي لكم (عصام) في فكّه ، وهو يصرخ بنفس اللغة ..

وقاوم (عصام) آلام اللكمة في بسالة ، وتشبّث بمعصم الضخم ، لينتد من إطلاق الرصاص مرة أخرى ، ودفع كل إصراره وقوته ، ورغبته في إنقاذ (عماد) و (غلا) إلى قبضته ، وهوى بها على فكّ الضخم ، الذي تأوّه في سخط ، وعاد يلكم (عصام) في معدته مرة .. وأخرى ، ثم أعقبهما بلكمة قوية على فكّه ، أرغمته على ترك معصمه ، وألقته أرضًا ، على بعد أمتار منه ..



انقضَّ (عصام) على الضخم ، وأمسك معصمه ، ورفع يده عاليًا ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها الرصاصة ..

وفي ثورة هائلة، صوّب الضخم مسدّسه إلى رأس (عصام)،
وقبل أن يندفع (عماد) و (غلا) نحوه، في محاولة يائسة
لمنعه، كان قد أطلق النَّار ..



١٣ - الاقتحام ..

جزء من الثانية، كان هو الخيط الفاصل، بين حياة
(عصام) ومصرعه في تلك اللحظة ..

جزء من الثانية، اقتحم فيه رجال المخابرات المصرية
القيلاً، وأطلقوا النار على الضخم، فطاشت رصاصته، وهو
يصرخ ألماً ويتراجع في رُعب، ثم لم يلبث أن تناسى الألم جرح
كتفه، وهو يتقهقر في دُعر، رافعاً ذراعيه في استسلام ..
وتهلّت أسارير (عماد) و (غلا)، في حين اتسعت
عينا (عصام) في ذهول، وهو يغمغم:

— يا إلهي ..! لقد نجوت .

نهض في صعوبة، فاستقبله وجه شاب وسيم، قملاً ابتسامته
وجهه، وهو يقول:

— هذا لله على سلامتك يا أستاذ (عصام) .. لقد قمت
بعمل رائع حقاً .

سأله (عصام) في حِدّة:

— هل لنا أن نتعارف أولاً ؟

اتسعت ابتسامة الشاب، وهو يمدّ يده؛ لمصافحته،
قائلاً:

— (محسن فواز) ، من المخابرات المصرية .

صافحه (عصام) في برود ، ثم هتف في جدّة :

— هل لي أن أعلم لماذا تعمّدت المخابرات استغلالى على هذا النحو ؟

رفع (محسن) حاجبيه ، وهو يهتف في دهشة :

— استغلالك ؟!

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

— إنك مصرى يا أستاذ (عصام) ، وتدرّك خطورة ودقة

العمل ، الذى نقوم به ، ولقد فعلنا ما ينبغى فعله ، للإيقاع
بزعماء شبكة جاسوسية ضخمة ، انتزعت من قبل العديد من
أسرارنا .

ولوّح بكفّه ، وهو يردف :

— كلنا نخاطر بأرواحنا في سبيل هدف واحد ..

(مصر) .. وكل ما نبذله من أجلها لا يساوى ما نبذله هي من
أجلنا .

تضرّج وجه (عصام) بحمرة الخجل ، وهو يقول :

— بالطبع .. ولكننى كنت أتمنى أن أعرف طبيعة الدّور ،

الذى أعبه ، مسبقًا .

ابتسم (محسن) وهو يقول :

— معذرة ، ولكننا كنا نخشى ألا تتقن أداء الدّور ، ولقد

فضّلنا أن نتركك تتصرّف على نحو طبيعى .

ثم استدرك في سرعة :

— وكل هذا للمصلحة العامة بالطبع .

أجابه (عصام) في حماس :

— بالطبع .

ثم هزّ كتفيه ، وهو يقول :

— ولكن هذا يدهشنى في الواقع ، فلم أتصوّر أبدًا أنها

حرب بين مخابراتنا ومخابراتهم .. لقد تصوّرت أنها حرب بين

جهازى مخابرات أجنبيّين .

ابتسم (محسن) ، وهو يقول :

— أيسبب الأجنبى ، الذى لقى مصرعه في البداية ؟

غمغم (عصام) :

— نعم .. هذا صحيح .

هتفت (غلا) في حماس :

— لقد كان ذلك الرجل جاسوسًا مزدوجًا يا أستاذ

(عصام) ، يعمل في صفوف المخابرات الأجنبية لحساب
(مصر) .

حدّق (محسن) في وجهها بدهشة ، وهو يتف :

— يا إلهي !! كيف عرفت هذا يا صغيري ؟

أسرع (عماد) يقول :

— إنه أمر بسيط يا أستاذ (محسن) .. فلقد كان ذلك

الجاسوس الضخم يعرف الكود السري ، اللازم لمعرفة كل
المعلومات والأسرار ، التي تحويها الأسطوانة ، في حين أن هذا
أمر عسير ، بالغ الصعوبة ، كما قال خبير الكمبيوتر الأستاذ
(نجدى) ، وفي حين أن الضخم أحد من قتلوا الأجنبي ،
ويسعون للحصول على الأسطوانة أيضا ، وهذا لا يتأتى إلا
في حالة واحدة .

أكملت (غلا) في سعادة :

— أن يكون الأجنبي القاتل عميلا مُزدوجا ، وأنه كان
يحاول استعادة الأسطوانة من الجواسيس ، وليس تسليمها إلى
جهة أجنبية .

هتف (عصام) ، وقد لاحت له الحقيقة لأول مرة :

— يا إلهي !! إذن فقد كان يريد أن يطلب مني تسليم
الأسطوانة إلى المخابرات المصرية .

هزّ (محسن) رأسه في خيرة ، وهو يقول :

— هذا صحيح .

ثم تطلّع إلى (عماد) و (غلا) ، وهو يسأل (عصام)
في دهشة :

— كيف يفكران بهذا الأسلوب ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— إن لهما عقلية تفوق عمرهما بعشرات السنين .

عاد (محسن) يهزّ رأسه في دهشة ، ثم ابتسم وهو يقول :

— لا خوف على (مصر) إذن ، ما دامت تضمّ مثلهما
بين أبنائها .

ثم التفت إلى (عصام) يضافحه ، وهو يقول :

— شكرا مرة أخرى يا أستاذ (عصام) .. إن (مصر)

تدين لك بفضل كبير .

صافحه (عصام) في ارتياح ، وهو يقول :

— إنني لم أفعل سوى ما ي عليه على الواجب ياسيد

(محسن) .

هتف (صالح موسى) في إعجاب ، وهو يربّت على ظهر
(عصام) في حرارة :

— تحقيق رائع يا (عصام) .. إنك ستفوقني هكذا في عالم
المخابرات يا صديقي .

ابتسم (عصام) وهو يقول :

— مستحيل .. أنت أستاذ في هذا المجال .

رَبّت (صالح) على كتفه مرّة أخرى ، وهو يقول :

— أنت أيضًا تستحق الأستاذيّة ، بعد تحقيقك العظيم
هذا .

مال (عصام) نحوه ، وهو يقول :

— لست أقصد عالم الأدب يا صديقي ، وإنما أقصد
براعتك في تلك اللعبة ، التي كنت أنا ضحيّتها .

تنهّد (صالح) ، وأطرق بوجهه لحظة ، ثم قال في جدّيّة :

— لقد كنت أودّي واجبي مثلك يا صديقي .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ابتسم (محسن) وقال :

— هذا ما تنتظره (مصر) من أبنائها .

واستدار لينصرف ، إلّا أن (عصام) استوقفه ، قائلاً :

— لحظة يا أستاذ (محسن) .. هل يمكنني نشر هذا

التحقيق ؟

اتسعت ابتسامة (محسن) ، وهو يقول :

— بالطبع يا أستاذ (عصام) .. ولكننا نراجعهُ أولاً في

إدارة المخابرات .

ثم غمز بعينه ، وهو يستطرد في مرح :

— يكفي أن تفقد سيارتك .. أليس كذلك ؟



— لقد كان حديثك عن الجاسوسية في منزلي مقصودًا ..
أليس كذلك ؟
أوماً (صالح) برأسه إيجابًا في خجل ، فعاد (عصام)
يسأله في قلق :

— وماذا عن صديقتك ؟

هتف (صالح) :

— إنها حقيقية .. ولقد أمتعتني تلك الأمسية حقًا .

سأله (عصام) في اهتمام :

— هل يعنى ذلك أنك تنوى تكرارها ؟

هتف (صالح) في حماس :

— بالطبع .

ثم ابتسم وهو يناول (عصام) سلسلة مفاتيح صغيرة ،

مستطردًا :

— أمّا الآن ، فأنا مكلف حمل هذه الهدية إليك .

تطلع (عصام) إلى المفاتيح في دهشة ، وهو يقول :

— أية هدية ؟

اتسعت ابتسامته (صالح) ، وهو يقول :

— هدية مخابرات (مصر) ، لواحد من أبناء (مصر) .
حذق (عصام) في المفاتيح مرة أخرى في دهشة ، فأمسك
(صالح) ذراعه في رفق ، وقاده إلى النافذة ، وأشار إلى
أسفل ، قائلاً :

— ها هي ذى .. هل ترورك ؟

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يهتف في سعادة :

— يا إلهي !! .. إنها سيارة بالغة الأناقة .

قال (صالح) :

— والحدثة .. إنها من إنتاج هذا العام ، وما زال عداد

المسافات فيها يشير إلى الصفر .

غمغم (عصام) مشدوهاً :

— يا إلهي !!

ربت (صالح) على كتفه ، وهو يقول في وُد :

— صدقني يا صديقي .. إنك تستحقها عن جدارة .

ثم سأله في اهتمام :

— أى اسم تنوى أن تطلق عليها ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

مغامرات (ع × ٢)

- ١ - قضية الصراف
- ٢ - قضية قتل الفندق
- ٣ - قضية بائع الذهب
- ٤ - قضية حادث المقطم
- ٥ - قضية المهرب
- ٦ - قضية لص السيارات
- ٧ - قضية مرور النقود
- ٨ - قضية الجاسوس السوي
- ٩ - قضية تاجر المخدرات
- ١٠ - قضية العقد المفقود
- ١١ - قضية جامع الطوايع
- ١٢ - قضية لاعب الكرة
- ١٣ - قضية مصرع الخلاق
- ١٤ - قضية الصابط المزيّف
- ١٥ - قضية الحريق الغامض
- ١٦ - قضية جريمة المرح
- ١٧ - قضية قطار الرعب
- ١٨ - قضية السجين الهارب
- ١٩ - قضية رجل الساعة
- ٢٠ - قضية لعبة الموت
- ٢١ - قضية الطفل الثالث
- ٢٢ - قضية شرطى المرور
- ٢٣ - قضية الجريمة الوهمية
- ٢٤ - قضية منتصف الليل
- ٢٥ - قضية حرب الخابرات

— وهل هناك بديل ؟ .. إنها سيارتي الثانية .. سيارة
(عصام كامل) الثانية .

واتسعت ابتسامته ، وهو يُردف في مَرَح :
— إنها تستحق عن جدارة اسم (ع × ٢) .

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع / ٣٥٤١

مفاهع × آرات

سلسلة الغاز بوليسية مشيرة للناسيين
تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء..



المؤلف



د. نبيل فاروق

قضية حرب المخابرات

- قضية عجيبة هذه المرة ،
تجمع بين قتل أجنبي ،
أسطوانة مجهولة من
أسطوانات الكمبيوتر ،
ولغز عجيب ، وأحداث
عنفية قاسية ، وحرب
شعواء ، تحمل اسم (حرب
المخابرات) ..
- ترى .. كيف يحل فريق
(٢ × ٤) لغز هذه القضية
الجديدة ؟
- اقرأ التفاصيل ، وحاول أن
تسبق (الفريق) إلى حل
اللغز .



المؤسسة العربية الحديثة
للنشر والتوزيع
١٠٠ شارع فلسطين - القاهرة - ١١٥١١٠٠

التمن في مصر ٧٥
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
(قضية العالم المفقود)